بطرس الناسك ودوره في احداث الحملة الصليبية الاولى

أ.د عباس عبد الستار عبد القادر الزهاوي
كلية الآداب/جامعة بغداد

بطرس الناسك ودوره في احداث الحملة الصليبية الاولى

أ.د عباس عبد الستار عبد القادر الزهاوي

Peter the Hermit and his role in the First Crusade

Professor Dr: Abbas Abd Alsattar Abd AL Qadir

Study summary

The character of the monk Peter the Hermit is considered one of the pivotal figures who had a prominent role in the events of the First Crusade. Indeed, he is almost the most prominent. Latin sources attribute to him the reason for its launch and the first driver of the call of Pope Urban II. He also spread the Pope's call with his eloquence and his oratorical influence on the masses in all the countries in which he left for her. ,

Then he led these masses of nobles, the poor, and bandits across Eastern Europe and the lands of the Byzantine Empire in a campaign called the Campaign of the Peoples, which was completely annihilated by the Seljuks of Rome. Only Peter the Hermit and a small fragment of his campaign members survived after the Byzantine Emperor Alexios Komnenos intervened to save him, ending one of the... The strangest military adventures in the Middle Ages ..

Despite the defeat that Peter the Hermit suffered, he insisted on waiting for the regular Crusade, so that after he was the military commander and religious guide in the peoples' campaign, he became an ineffective figure in the events of the regular campaign. We do not find him a significant role except during the siege of Antioch by the Emir of Mosul, as he He was elected to meet him, and again, when the leaders of the Crusader army left Jerusalem on the day they went out to repel the Fatimid attack on their emerging kingdom .

المقدمة

بطرس الناسك هو احد من الشخصيات القلائل التي ادخارها الزمن لمثل الايام التي شهدت دعوة بابا أوربا لانطلاق الحملات الصليبية على المشرق العربي, فكان كمن نفخ في الرماد ليشعل في نفوس الاوربيين باختلاف عروقهم تلك الروح والحماسة التي لم يشعر بها فقراء الحملة الشعبية من قبل ليكونوا اول حجاج مسيحيين للأراضي المقدسة ولكن يحملون معهم السلاح لتبدأ صفحة من الصراع مع مسلمي المنطقة بمختلف عناوينهم وكياناتهم السياسية ,دامت قرنين من الزمن شهدت مصرع مئات الالوف من الاوربيين سواء في طريقهم الى الاراضي المقدسة او على اسوار مدنها.

وفي حقيقة الامر تعد رحلة بطرس الناسك وقيادته لهذا العدد الضخم من فلاحي ونبلاء أوربا ترسيخ لفكرة الحج المسلح فهذا الطريق سلكه حجاج أوربا لقرون حتى اصبح مألوفا لهم ,ومسألة تحرير الاراضي المقدسة شدت الكثيرين منهم وجعلتهم يلتحقون بهذه الحملة من دون تردد من اجل الخلاص الأخروي من ناحية وكون الحملة مجهزه بالمؤن ومؤمنه من جنود النبلاء.

هدف الدراسة

تسليط الضوء على شخصية بطرس الناسك وكشف حقيقة ان كان جاسوسا لدى البابا اوربان الثاني في هيئة حاج مسيحي في فلسطين ,وليس الصورة التي تشوبها الأسطورة التي اظهرته المصادر اللاتينية وكأنه المحرك للبابا لإعلان دعوته للحملة الصليبية ومع ذلك فقد كان مقربا لدى البابا بحيث قاد بنفسة الشطر الاعظم من الحملة الشعبية الصليبية, ,كما سنوضح مسير حملته ووصوله الى الطرف الغربي من الاناضول ,وكيف انتهت هذه الحملة.

بطرس الناسك قبل الحملة الصليبية:

بطرس الناسك . Peter the Hermit (1050 .١١١٥م)راهب وخطيب من مدينة أميان الفرنسية شخصية كنسية كاثوليكية كارزمية متعصبة ومغامرة التفت حولها الاساطير والمرويات وشابها الكثير من التناقض ,وهي جزء من منظومة كنسية تقودها الكنيسة اللاتينية الغربية بقيادة البابوية في روما ,هدفها تجنيد رجال الدين لانتهاج اسلوب الدعاية والتحريض لدفع الشعوب المسيحية بمختلف فئاتها للانضمام لحملة صليبية (١) تتجه شرقا لتحرير

الاراضي المقدسة من السيطرة الاسلامية بعد ما احدثه السلاجقة من تغيير في الخارطة السياسة في المنطقة فضلا عن تغيير موازيين القوى فيها ,والذي ساعد الغرب في ذلك هذه المرة هو انفتاح البوابة البيزنطية امام اي قوة ترسلها البابوية بعد ان تكرر الطلب البيزنطي للمساعدة العسكرية في شخص الامبراطور نفسه, وهنا بدأت الموجات البشرية المتحمسة التي يقودها رجال الدين تنطلق نحو اراضي الامبراطورية البيزنطية من دون انتظار القوات النظامية التي ستنطلق لاحقا وبرعاية البابوية ايضا, وكانت الصفة العامة لهذه المجاميع البشرية هي الفقر والجهل والانفعال الديني فكانوا مادة طيعة بيد رجال الدين الذين بلغت بالقلة منهم الجراءة ان يقودوا هذه الجموع بأنفسهم وكان من اشهرهم بطرس الناسك ذو التأثير الخطابي الديني الموجه للجموع محدثا سلوكا جمعيا بالغ التأثير فيها للدرجة التي ظنوا ان خلاصهم الدنيوي و الأخروي بيده .

ورغم الدراسة التي قام بها هنريخ فون سابيل * سنة ١٨٤١م التي كشفت زيف الاسطورة التي احاطت ببطرس الناسك*, فان بطرس يعد نبي هذه الحركة ,وهو الذي بدأ الحملة الصليبية في المناطق التي شهدت نشاطه ,وهي مناطق شمال فرنسا واقليم الراين في المانيا وكان البرت فون آخن او(البرت اكس)*(١٠٦٠.١١٢٠) راهبا في اكس لاشابيل (Aix La Chapelle)(آخن),ويبدو انه تلقى تعليما فيها فتعلم اللاهوت والفلسفة والمنطق والقانون واجاد اللغة اللاتينية في منتصف القرن الثاني عشر, ولم يقم البرت بزيارة الشرق ابدا, ولكنه جمع مدونته التاريخية التي تحكي قصة الحملة الصليبية الاولى ومملكة بيت المقدس اللاتينية حتى سنة ١١٢٠م من شهود العيان ومن المصادر الادبية الاخرى ومدونته في مجموعة الحروب الصليبية ,ولهذا الكتاب قيمة خاصة فيما يتعلق بالحملات الشعبية التي سبقت حملة الامراء الى الاراضي المقدسة (٢) فهو صاحب اقدم نص مكتوب عن هذه الاسطورة وتقبلها المؤرخ وليم الصوري وزاد عليها (٣) فيذكر المؤرخ الفرنسي غروسيه "من بين الدعاة الذين اسهموا في نشر الفكرة الصليبية ,يبقى بطرس الناسك أهمهم على الاطلاق, وقد وصفه المؤرخون بأنه رجل قصير القامة, نحيلها, اسمر اللون ,يرتدي مسوح النساك ,وكان ما يزال جائلا على ظهر حماره, من مدينة الى مدينة ,ومن قرية الى قرية يحض الناس على حمل الصليب ,ويستولي على مشاعرهم بفصاحته وبلاغته ,ولكن الاسطورة الشعبية قدمته في

صورة اخرى ,الم يروا انه عندما حج الى قبر المسيح رأى السيد في الحلم يأمره بالتوجه الى البابا من أجل تحرير القدس ,وكأنه بات بديلا عن البابا اوربان الثاني فنجده يقف امام الجموع الذين زحفوا تلبية لنداء بطرس الناسك نحو القسطنطينية ,دون ان يمنحوا البابا فرصة لتنظيمهم وتأطير حملتهم, ودون ان ينتظروا التحاق جيش البارونات بها (٤)

وفي اول ذكر لآنا كومنينا لبطرس الناسك قالت "اما بطرس فكان قد رحل منذ وقت بعيد الى الضريح المقدس لتأدية مناسك حجه (٥).

ووجد فيه وليم" فضلا عن خدماته الجليلة للدين ان الله انعم عليه وهو الخادم المطيع المبشر ذو الهمة العالية الرائعة فيتمتع بالبلاغة والفصاحة وهبة القبول الحسن في عيون الجميع حتى ان كلماته كانت تبدو كأنها من وحي الله, اذ تلقاها القوم صغيرهم وكبيرهم بالرضا والامتثال غير عابئين بما ينطوي عليه تنفيذها من مشقة"(٦).

وينفرد البرت فون آخن في كتابه(تاريخ الحملة الصليبية الاولى ومملكة بيت المقدس)بذكر عناوين خاصة ببطرس الناسك في الصفحات الاولى من كتابة الضخم, والواقع ان البرت قسيس آخن Albert of Aix ,هو الوحيد ,الذي اورد في كتابه رواية أصيلة مفصلة عن اسفار بطرس وولتر المفلس*,والواضح انه استمد أخباره من شاهد عيان, حرص على تدوين ملاحظاته ,على ان بعض ما اورده من ارقام واعداد الجموع, لا يصح الاخذ به, ولم تتفق طباع بطرس مع المثل والمبادئ في بعض الاحوال, والراجح ان المؤلف اراد ان يجعله دائما مرحا, خفيف الظل, بقوله "ولد بطرس الناسك في مدينة اميانس في غربي فرنسا ,وكان يعمل واعظا في كنيسة بيري, وكان متحمسا جدا, وقام بشغف الدعوة الى الحملة الصليبية الاولى ,وكان خطيبا مفوها يستطيع ان يؤثر على الشعب بخطبه, وانتشر صيته في ربوع فرنسا, فقلده وتبعه القساوسة والرهبان ,وكل العاملين في الاكليروس ,لا بل حتى المثقفون والعلماء وامراء مختلف الممالك ,وأخيرا كل الجماهير الشعبية من الفلاحين واللصوص ,والقتلة وقطاع الطرق, وكل المسيحيين حتى العنصر النسائي سارع للمشاركة في هذه الحملة "(٧).

اما عن صفاته الخلقية والخلقية فذكر بانه كان قصيرا ,وصغير الحجم ,ولكنه كان كبيرا وعظيما في الخطابة والمعنى"(٨).

كما يمكننا ان نستشف من سيرته داكن اللون على غير صفات بني جلدته لتجواله المستمر تحت الشمس ,ومتدينا وملتحفا بعباءة الديانة المسيحية المتعصبة بأحكام ورؤية القرون الوسطى تجاه المسلمين ,وبالإمكان ان نقول عليه انه كان شجاعا في اراضي أوربا بل امر بقتل المعتدين على جيشه او جيش والتر المفلس الذي سبقة في الرحلة ومعترضا على اعتداءات البيزنطيين اثناء دخوله اراضيهم ,الا انه كان في غاية الجبن عند ملاقاته للمسلمين فترك جنوده وعاد الى القسطنطينية بحجة طلب المؤنة لجنوده ,كما حاول الهرب من مدينة انطاكية عند محاصرة المسلمين السلاجقة لها, كما انه فضل عدم الخروج مع الصليبيين لملاقاة الفاطميين ففضل البقاء في القدس على الخروج معهم.

وفي رواية جيوبرت النوجنتي* Guibert of Nogent (الذي يحتمل انه كان بين الحاضرين في كليرمون اورد رواية خاصة عن خطبة البابا) التي قدمها للقارئ العربي قاسم عبده قاسم ذكر ان الناس اطاعوا بطرس الناسك في دعوته كسيد حين كانت هذه الامور تجري بيننا ,كان من مدينة أميان وعلمنا انه كان ناسكا يرتدي مسوح الرهبان في احدى مناطق بلاد الغال, وبعد ان رحل هناك ,رأيناه يجوب انحاء المدن والريف بدعوى التبشير ,والتفت حوله جموع كبيرة من الناس وتلقى هدايا وهبات ضخمة وقد تضخمت قدسيته بدرجة عالية لم يصل اليها احد ولم ينل هذا التشريف احد فيما اذكر, وكان سخيا جوادا في توزيع ما يتلقاه على الفقراء, واعاد الخاطئات الى ازواجهن محملات بالهبات والعطايا, وبسلطته المدهشة اعاد السلام للجميع, وأحل الوئام محل الخصام لأنه في كل ما يقوله او يفعله كان يبدو وكأنه شيئا مقدسا ,لاسيما حين كانت الشعيرات تنتزع من حمارة على سبيل التبرك, ونحن لا نروي هذا باعتباره حقيقة ,ولكننا نرويه لعامة الناس الذين تستهويهم الطرائف ,كان يرتدي قميصا من الصوف وفوقه عباءة بلا اكمام تصل حتى عقبيه, وذراعا عاريان وقدماه حافيتان وكان يعيش على النبيذ والسمك ونادرا او ربما لم يأكل الخبز على الاطلاق(٩).

وجاءت رواية مؤرخ الدراسات البيزنطية والصليبية رنسيمان عن بطرس الناسك التي فيها من رواية النوجنتي الكثير بعد ان تصرف في كلماتها قائلا :انه كان راهبا طوافا وطاعنا في السن ,ولد بمكان قرب اميان ,والراجح انه حاول منذ سنوات ,ان يؤدي الحج الى بيت المقدس ,غير انه تعرض للأذى من قبل الترك, فأرغموه على العودة دون ان يؤدي الحج

,عرفه معاصروه باسم بطرس الصغير ,شتو ,وكيو كيو ,في اللهجة البيكاردية ,غير ان ما اتخذه فيما بعد من رداء الزاهد ,جعله معروفا باسم الزاهد ,الذي اشتهر به في التاريخ, كان بطرس قصير القامة ,داكن اللون, ذا وجه طويل نحيل ,اشبه ما يكون في قبحه بوجه الحمار الذي يمتطيه, والذي لقي من التكريم والتبجيل مثلما لقي بطرس ,درج بطرس ان يسير حافي القدمين ,وقد ارتدى ملابس رثه ,لم يتناول في طعامه الخبز او اللحم, بل جعل غذاءه السمك, واتخذ النبيذ شرابا له, وعلى الرغم من حقارة مظهره, فأنه ادخر من القوة ما كان يثير الرجال, احاط به جو غريب من السلطة والنفوذ ,فيروي جيبرت نوجنتي, الذي يعرفه شخصيا, فيقول" ما يردده بطرس او يعقله, يتراءى على انه من صنع الله"(١٠) .

بطرس الناسك في الشرق:

تبدأ سطور حكاية بطرس الناسك مع رحلته للحج وزيارة للاماكن المقدسة في مدينة القدس والرؤيا التي رءاها عند ضريح السيد المسيح(عليه السلام) دونها البرت فون آخن من احد الصليبيين العائدين الى أوربا او ابتدعتها مخيلته وتلقفها من بعده من كتب عن بطرس الناسك من المؤرخين اللاتين .

أنتجت دعوة اوربان حركة شعبية ارتبطت باسم بطرس الناسك في بداية الامر ,ويبدوا من المصادر التاريخية المعاصرة ان بطرس هذا كان يتمتع بشخصية مفوهة قادرة على التأثير في الجماهير بحيث تكونت حركة عامة هدفها بيت المقدس ,وتكونت حول الناسك اسطورة ظلت مطبوعة في خيال الادباء والفنانين ,والهاما يمثل جاذبية خاصة في الادب الشعبي منذ القرن الثاني عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر, وطوال هذه الفترة كان بطرس يعتبر تجسيدا للحماسة الروحية الشعبية في الحركة الصليبية وجعلته الاسطورة صاحب الفضل في الدعوة الى الحملة الصليبية , وعلى الرغم من زيف اسطورة بطرس الناسك التي ابتدأت برؤيا عند ضريح المسيح (عليه السلام),الا انه ظل شخصية محورية ومثيرة للاهتمام في دراسة هذه الحركة, ذلك ان اهمية بطرس وغيره من زعماء الحركة الشعبية ما تزال محل نزاع وخلاف بين المؤرخين .. وهذه الاسطورة تأتي من البرت فون اخن الكسي, ووليم الصوري ,الذي اعتمد عليه في اخبار الحملة الاولى , تدعي حمل بطرس رسالة من القدس الى البابا وامراء الغرب في سنة ١٠٩٤م ,والحقيقة ان المصادر التي

عاصرت الاحداث ١٠٩٥م لم تذكر شيئا عن حج بطرس الناسك باستثناء انا كومنينا التي كانت طفلة زمن وقوع الاحداث ,كما انها كتبت بعد نصف قرن من الاحداث .

وفيما ذكره البرت فون آخن الذي ربط الحلم او الرؤيا بالرسالة التي كان أول من ذكر انها كانت رسالة مكتوبة ,وفي نهاية القرن الثاني عشر تغيرت الرواية قليلا على يد وليم الصوري الذي اضفى عليها ابعادا جديدة جعلتها تتخذ شكل اسطورة كاملة.

ومن الواضح ان كل المصادر التي تحدثت عن اسطورة بطرس الناسك ورحلته وحلمه قد اعتمدت بشكل او بآخر على ما كتبه البرت فون آخن, باستثناء آنا كومنينا ,ومع مرور الوقت كانت الاضافات الخيالية تتزايد لتنسج لنا هذه الاسطورة التي تقبلها المؤرخون زمنا طويلا ,بيد ان البحث العلمي الحديث كشف لنا زيف هذه الاسطورة ,و ان هذا الرجل كان ابعد ما يكون عن استحقاق هذ الدور واذ كان مجرد واحد من افراد كثيرين استجابوا لدعوة اربان الثاني ,كما كان واحدا من بين عدة زعماء تولوا قيادة الحملة الشعبية ..ونجد فيه نموذجا متناقضا ذلك ان هذا الزعيم المفوه ,القادر على تحريك الجماهير والذي الهم آلاف المطحونين من ابناء الغرب الاوربي ليسيروا صوب الشرق هذا الزعيم نفسه كان من بين الهاربين عندما بدأت الحملة الصليبية تتعرض للمصاعب ,لقد كان بطرس احد المروجين للايدلوجية الصليبية ,وكان وحدا من صناعها, وكانت مهمته الترويج للجانب الغيبي وعندما صدمته الاحداث بحقائقها القاسية حاول الهرب ضمن مجموعة اخرى من النبلاء العامة في سنة ١٠٩٨م ,عندما كان الصليبيون يحاصرون انطاكية, وعلى اية حال كان بطرس الناسك وغيره هم الذين تلقفوا خطبة البابا وحولوها الى دعوة شعبية بين الفقراء من ابناء الغرب الاوربي ,وبدأ المبشرون الشعبيون يواصلون الدعوة استجابة لخطبة اربان (١١).

جعل البرت فون آخن ومن دون ان يحدد السبب بداية ملحمته مع سنة ١٠٩٤م عندما كان بطرس الناسك في رحلة الحج وزار فيها كنيسة القيامة, ويجعل من كلماته التي توجه بها بطرس الناسك الى بطريرك الكنيسة المقدسة في القدس سببا لانطلاق الحملة الصليبية الاولى عندما سألة لماذا يسمح للملحدين والكفار ان يدنسوا الاماكن المقدسة وان يستخدموا الكنسية اصطبلات, وان يضربوا المسيحيين, وان ينهبوا الاموال من الحجاج المؤمنين ويعذبونهم (١٢), وكان جواب البطريرك بقوله ان سلطته وقوته ضئيلة جدا مقابل تسلط

هؤلاء الكفار علينا ,انا علي ان ادفع الجزية مدى الحياة, مقابل الحفاظ على حياتي ,واخاف على المسيحيين من ان تسوء اوضاعهم من يوم لآخر ,وهم يحتاجون المساعدة ولهذا اطلب منك مساعدتنا فأجابه بطرس: أيها الاب المعظم لقد علمت بما فيه الكفاية عن ضعف قوة المسيحيين الذين يسكنون هنا, وكيف يتحملون الضغوط عليهم من قبل الكفار, لذا اريد بمساعدة الرب ان اعود الى الوطن ,واعمل على تحرير بلدكم المقدس ,وعندما اصل الى هناك سأدعو ارباب الكنيسة والفرسان ,واصحاب السيادة والامر ,واشرح لهم معاناتكم واوضاعكم السيئة(١٣).

ورغم التحفظ الشديد فيما اورده آخن عن هذه المحادثة التي اريد منها ان تكون اللبنة الاولى التي استدعت القيام بمثل هذه الحملة الضخمة التي لم يشهد العالم مثيلا لها منذ ايام الاسكندر المقدوني والتي كانت اقل عددا وعدة من الحملة الاولى الصليبية ,فهي ابعد ما تكون سببا لانطلاق الحملة الصليبية الاولى.

والواقع ان ما ذكره كان انعكاسا لأوضاع بلاد الشام خاصة والمشرق الاسلامي عامة اثر الانقسام والصراع السلجوقي الذي تمثل بأمرائه المتنافسين على السلطة بعد وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه (٤٦٥هـ ٤٨٥ هـ /١٠٧٢. ١٠٩٢م) مما ترك ظلاله القاتمة على اوضاع الحجاج المسيحيين المتوجهين الى الشرق وتحديدا الاماكن المقدسة لهم جنوبي الاناضول وشمالي سوريا وفلسطين.(١٤).

والسبب الثاني والاهم تمثل بالتدهور الذي اصاب الامبراطورية البيزنطية الاثر الاكبر في نجاح سلاجقة الروم والذين لم يكونوا بدورهم مستقرين بسبب السلطة السلجوقية المركزية على عهد ملكشاه من جانب وصراعهم مع سلاجقة الشام في الجنوب من جانب آخر ,ومع ذلك تمكنوا من السيطرة على طرفي آسيا الصغرى ,بحيث وصلت هجماتهم اسوار بيزنطة الواقعة في الطرف الاوربي من الامبراطورية ,وفي ظل هذه الظروف انتهى الصراع الداخلي البيزنطي عن تنازلات اوصلت الكسيوس كومنين الى سدة الحكم سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م(١٥),ليرث تركة مثقلة بالمخاطر كان ابرزها النورمان شمالا والسلاجقة جبوبا كل ذلك اجبره على طلب مساعدة البابوية المتمثلة ب(غريغوري السابع)ومن بعده

(اوربان الثاني) وهي اول مرة تحدث بسبب الخلاف المذهبي بين الاثنين لتنفتح بذلك ابواب بيزنطة لاحقا لجموع الصليبيين للتوجه نحو هدفهم المنشود القدس .

فلولا الخطر المشترك الذي شعر به القادة السياسيين لبيزنطة وبابوية روما من تكرر التوغل الاسلامي في أوربا من جهة الشرق كما حدث في اسبانيا لما تقاربت وجهات نظر الاثنين ولا اتحدت جيوشيهما لمواجهة السلاجقة.

ولعل هذا التقارب بدأ منذ ايام الامبراطور البيزنطي ميخائيل السابع ,والبابا غريغوري السابع سنة ١٠٧٤م الا ان هذا التقارب لم يسفر عن عمل عسكري من قبل البابا بسبب صراعه مع الامبراطور الالماني(١٦).

اما الامبراطور الكسيوس كومنين فقد طلب النجدة العسكرية من الغرب الاوربي الى الامراء والى البابا سنة ١٠٩٠م, يعرب له عن نيته في تسوية المشاكل القائمة بين بيزنطة والبابوية كالخلاف بين الكنيستين الكاثوليكية والارثوذكسية ,كما اراد ان يلتمس منه ومن ملوك أوربا امداده بجنود مرتزقه لقتال بعض العناصر الثائرة في البلقان ليتكرر الطلب سنة ١٠٩٥ من الامبراطور للبابا اوربان الثاني لإيفاد النجدات لمواجهة خطر المسلمين السلاجقة, كل ذلك ادى لانطلاق حملة صليبية تحمل اجنده بابوية اوربية لا تمت بصلة لطلب الامبراطور لمرتزقة ورغم قدرة الامبراطور على اخضاع امراء الحملة ولو صوريا لقيادته الا ان الامر سرعان ما خرج عن سيطرته لاحقا(١٧).

كما كانت للبابوية اطماع في توسيع مقاطعاتها في ايطاليا على حساب امبراطور المانيا, واخضاع امراء اوربا ونبلاءها وملوكها لأرادتها بحجة استرجاع المقدسات الدينية للمسيحية في الشرق وارغامهم وبضغوط شعبية ودينية ان تدفع للبابوية وللكنائس التابعة لها الإتاوات المالية التي تفرضها عليهم بحجة ما تصرفه المؤسسة الدينية في تمويل تلك الحملات الصليبية.

وبالعودة الى بطرس الناسك نجد ان آخن لم يشذ عن اقرانه من المؤرخين اللاتين في حشو مؤلفاتهم بالغيبيات والمعجزات والمنامات ليبتدئ بمنام بطرس عند قبر السيد المسيح (عليه السلام) والذي اعطاه عنوان(كيف رأى بطرس ربنا العظيم يسوع في نومه وكيفية

اقتناعه)ومفاد هذه الرؤية ان السيد المسيح امر بطرس بالنهوض والاسراع بالعودة الى الوطن واخبار جماعتك بما يعانيه شعب الرب وتحفيزهم من اجل تنظيف الاماكن المقدسة (١٨).

وبغض النظر عن مدى مصداقية هذه الرواية, يظهر لنا من سياق الاحداث ان بطرس كان مقربا للبابا واحد جواسيسه المعتمدين والذي كان الهدف من زيارته الى الاماكن المقدسة هو تقصي الاخبار وتلمس الاوضاع في المشرق الاسلامي والتي ترددت على السنة الحجاج المسيحيين الذين عادوا الى اوطانهم في أوربا ,فما كان من البابا الا ان يرسل شخصية مقربة منه وهو بطرس الناسك للتأكد من تدهور اوضاع المسلمين مما يعد فرصة سانحة للانقضاض على اراضي الدولة السلجوقية وانتزاع الاماكن المقدسة منهم.

اما رواية وليم الصوري عن بطرس الناسك فقال عنه "قس يدعى بطرس من اسقفية اميان في مملكة الفرنجة وكان معروفا باسم(الناسك)اسما وحقيقة ,وقادته اورشليم الحمية الدينية التي تتأجج بها روحه وفيما يتعلق بالمظهر الخارجي للرجل ,كان ضئيل البنية رزي الهيئة ,ولكن في هذا الجسد الصغير تسود حماسته الهائلة ,وكان ذا حيوية دافقة كما كانت له عينان ثاقبتان وتميز بفصاحة بالغة , وبعد ان دفع الضريبة التي جرت العادة على فرضها على المسيحيين الذين يريدون دخول المدينة (القدس)استضافه احد المؤمنين من اتباع المسيح كان بطرس رجلا مثابرا ,وكان يطرح اسئلة عديدة على مضيفه حول اوضاع المسيحيين وعرف منه تفاصيل كاملة ,لاعن الاخطار الماثلة في الوقت الحالي فحسب ,ولكن ايضا عن الاضطهادات التي تعرض لها اسلافهم عبر سنوات كثيرة مضت ,اما المعلومات التي لم يمكنه الحصول عليها بالكلمات ,فقد حصل عليها من خلال الملاحظة الامينة لما شاهده بعيني رأسه ,وبينما كان يتجول بين الكنائس في المدينة ,اوضحت له تحرياته حقيقة ما سمعه من الآخرين ,وعندما سمع ان بطريرك المدينة رجل تقي يخشى الرب, اراد ان يجتمع وإياه ليحادثه في الاحوال التي كانت سائدة اورشليم وكان يأمل الحصول على المزيد من المعلومات الكاملة في امور اخرى بعينها وبناء على ذلك ,ذهب للقائه وسمح بالمثول في حضرته ,وبفضل جهود مترجم مؤمن استمتع الرجلان بحوار جيد(١٩), فقد عرف سمعان * البطريرك من كلمات بطرس انه رجل حصيف كثير التجارب له قدرة على الاقناع قولا وفعلا ,وبدأ يشرح له بود المتاعب والشرور الكثيرة التي يتعرض لها

بقسوة شعب الرب الساكن في اورشليم ,وقد تحركت مشاعر التعاطف الاخوية في نفس بطرس بقوة الحكايات لدرجة انه لم يتمكن من حبس دموعه وبدأ يسأل بشغف أكثر ما اذا كان ممكنا إيجاد وسيلة للخروج بهم من خضم المتاعب التي تحيط بهم ,واجاب الرجل الطيب يا بطرس ان الرب الرؤوف يرفض ان يستمع نحيبنا الباكي وتنهيداتنا بسبب الخطايا التي تكبلنا, لأننا لم تتطهر بعد شقائنا, ومن ثم فإن المصائب لم تتوقف في الحاضر ,ولكن بفضل رحمة الرب الابدية (٢٠).

ادرك البطريرك سيمون من كلام بطرس انه امام رجل فطن, ملم الماما واسعا بكبير الأمور ,قادر على الاقناع بالكلمة والفعل فاخذ يشرح له في اسهاب وصدق الاهوال الجمة المنصبة في وحشة على شعب الرب الساكن ببيت المقدس ,فتأثرت مشاعر بطرس الاخوية عند سماعه هذه الرواية تأثرا لم يملك معه دموعه عن الانهمار ,ثم راح يسأل في لهفة عما اذا كان في الامكان ايجاد طريقة ما للخلاص من هذه المصاعب المحدقة ...وهنا يسرد البطرك اوضاع الامبراطورية البيزنطية من خلال طلبه لبطرس بالدعاء ان تقدم الامبراطورية لهم يد العون لأنها كانت اكبر ارتباطا بهم من ناحية الدم والجوار وعندهم ثروات ضخمة, ولكنهم اصبحوا اليوم لا يقدرون على الدفاع عن انفسهم اذ تلاشت قوتهم بددا ,كما انهم فقدوا اكثر من نصف إمبراطورتيهم على مدى سنوات قلائل(٢١), فرد عليه بطرس قائلا: اعلم ايها الاب المبارك انه اذا توفر لكنيسة روما وامراء الغرب مبلغ المعي ,ورجل ثقة يخبرهم بالمصائب التي تكابدونها, فلاشك انهم سوف يبادرون الى بذل الجهد لتقديم العلاج بأسرع ما يمكنهم قولا وعملا لتخليصكم من هذه المشاق وعليك ان تبادر بالكتابة الى قداسة البابا والى كنيسة روما ,وان تؤكد الخطاب بخاتم سيادتكم واما انا فلن اتراجع من جهتي على حمل هذه الرسالة رجاء خلاص روحي ,كما انني مستعد مهتديا بالله لزيارة الجمع والتوسل اليهم, وسأكون الشاهد على محبتهم التي تجاوز كل حد وادعوا الجميع افراد وجماعات الا يتوانوا عن اسعافكم بما فيه خلاصكم نزلت هذه الكلمات نزول السلوى على نفس البطرك وملائها بالغبطة ...وشكروا رجل الرب وناولوه المكتوب الذي سألهم اياه"(٢٢).

وهذا النص الذي اورده وليم لا يجعل مجالا للشك بان بطرس كان احد رجالات البابا اوربان الثاني المقربين وكان ملتزما بمهمة محددة في زيارته الى الاراضي المقدسة هو

تقصي الحقائق من مسيحي الشرق واوضاعهم واوضاع المسلمين فلا تفسير من استقبال بطرك القدس لبطرس سوى انه كان يحمل صفة رسميه من البابا والدليل اخذه الرسالة الموجهة من البطريرك مختومة منه الى الباب كوثيقة تدلل على رغبة البطريك من التخلص من الاوضاع التي يعانيها مسيحي الشرق في ظل السيطرة السلجوقية والتي سيتشدق بها البابا امام جموع الاوربيين, وان تجنب ذكر المصادر اللاتينية لذلك لحفظ مقام البابا وبطرس من صفة التجسس.

وهنا يشكر وليم الرب للقوة التي منحت لبطرس الناسك زاعما انه بمثابة الشرارة التي من اجلها انطلقت الحملات الصليبية بدأت برجل ورؤية عند قبر السيد المسيح "حقا يا رب يا مولانا كم انت عظيم ورحمتك بلا حدود ..اين جاءت مثل هذه الثقة لحاج بلامعين ومن غير سند كهذا الحاج بطرس وهو بعيد عن مسقط رأسه حتى يأخذ نفسه ويحمل على عاتقه مهمة فوق طاقته؟ ثم هل له ان يطمع بعد ذلك في تحقيق ما يتطلع اليه".

ويفسر هذا الامر ورغم من انه من المؤرخين اللاتين القلائل الذين يتمتعون بحس نقدي وتحليلي للأحداث لكنه هنا يخضع وبصورة مطلقة لنظرية العناية الالهية صنيعة اوغسطين* فيذكر "ان التفسير الوحيد هو انه وجه افكاره نحوك يا رب وانت حاميه وفاض قلبه بالحب المتقد فتعاطف مع اخوانه, واحب من حوله حبه لنفسه فسار للوفاء بما فرض عليه ,وعلى الرغم من ضعف قوة كيانه الا ان المحبة كانت تشد أزره ,وكما انه رغم ما القاه اخوانه على عاتقه عن مهمة شاقة ان لم تكن مستحيلة الا انها تيسرت عليه وتذللت بفضل ما طبع في قلبه من حب لله ولجيرانه ذلك لان الحب قوي كالموت"(٢٤).

وهنا يسرد وليم هذه الكذبة التي تسربت الى اقلام مؤرخي الحروب الصليبية والتي اختلقها آخن وربما سردها بطرس نفسه وهو يخطب في جموع الاوربيين " حدث في احد الايام ان خادم الرب هذا الذي اتكلم عنه كان مشغول البال على غير العادة بالتفكير في العودة الى الوطن والوفاء بالمهمة التي حملها, ثم دخل كنيسة القيامة واتجه بقلب خاشع كل الخشوع الى منبع الرحمة وامضى الليل في الصلاة والتهجد ,..واستغرق في النوم العميق وخيل اليه انه يرى سيدنا عيسى المسيح وهو يقول له : انهض يا بطرس واسرع وانجز ما عهد اليك من المهام لأنني سأكون معك لقد جاء الوقت لتطهر الاماكن المقدسة "(٢٥).

والواقع ان مسألة انطلاق الحروب الصليبية في هذا الوقت بالذات لا علاقة لها ببطرس الناسك وجهوده ,بل ان الامر يعود الى سنوات سبقت انعقاد مجمع كليرمون بعد زوال الحاجز الذي يمنع قيام حملة صليبية نحو الشرق ,الا وهو وجود الامبراطورية البيزنطية المختلفة سياسيا ومذهبيا مع الغرب الاوربي, وكان سبب زواله ورود اول رسالة من الامبراطور البيزنطي مخائيل السابع ومن بعده الكسيوس كومنين للبابا غريغوري السابع يدعوه لأرسال قوة عسكرية لمواجهة النورمان الذين انطلقوا من الاراضي الايطالية والتي يمتلك فيها البابا من المقاطعات الشيء الكثير وكان ذلك بمثابة الوثيقة التي برر لخلفه اوربان الثاني للدعوة الى حملته الصليبية ضامنا موافقة الامبراطور البيزنطي في تدفق جموع الصليبيين عبر اراضيه والوصول من هناك الى الاراضي المقدسة. (٢٦) .

وذكر المؤرخ دانا مونرو(١٨٦٦.١٩٣٣م)والذي يعد بمثابة الاب الروحي لكافة المؤرخين الذين اشتغلوا بدراسة تاريخ الحروب الصليبية, ان مسألة الاعتقاد بان بطرس الناسك هو محرك الحملة الصليبية الاولى اصبحت مستبعده ,والمسؤولية تعود الى البابا اوربان الثاني في قيامها, وان خطبته ادت الى خروج الآلاف من اجل حمل الصليب والاشتراك في تلك الحركة التاريخية(٢٧).

بطرس الناسك في أوربا:

ولدينا وثيقة عبارة عن خطاب اوردته المصادر الاوربية ,وارجعت تاريخه الى الفترة ما بين اغسطس سنة ١٠٩٤ وكانون الاول سنة ١٠٩٥م موجه من الكسيوس الى البابا اوربان يطلب نجدتهم ضد المسلمين الذين يهددون الامبراطورية ولكن يبدو ان هذ الخطاب كان من بين الوثائق المزورة(٢٨).

وبالعودة الى بطرس نجد ان المصادر تذكر عودة بطرس الى مدينة باري الايطالية ,ومن هناك اسرع الى روما للقاء الحبر الاعظم البابا اوربان الثاني ١٠٨٨.١٠٩٩م رغم ان اخن يجعل الناسك غريبا عن البابا وانه بحث عنه ليجده ويخبر امر الرؤية التي شاهدها في القدس وذكر "استمع الحبر الاعظم لكل شيء باهتمام وتركيز ودعا المؤمنين للصلاة والدعاء ,ثم شق طريقه باتجاه جبال الالب ووصل الى مدينة كليرمونت في فرنسا ,وهناك دعا المسيحيين الى عقد مجمع كنسي لتقرير مستقبل المسيحية الغربية وإعلانهم عن الرسالة

الربانية ,ودعوة الملوك والامراء وكبار الاقطاعيين من مختلف الجهات لتمويل حملة لإنقاذ الضريح المقدس ,وانتشرت هذه الدعوة في كل المدن والقرى والاصقاع في فرنسا ,واحدثت زلزالا قويا ,فقدم الاغنياء من فرنسا والمانيا وانكلترا ,ومن الممالك الدنماركية للمشاركة فيها"(٢٩).

ونقل وليم رواية البرت بقوله "انطلق بعدها الى بطرك سيمون فنفحه ببركاته فانطلق شطر البحر حيث وجد سفينة تجاريه على وشك الابحار عن طريق ابوليا فاستقبلها فبلغ (باري)بعد رحلة موفقة ,وبينما كان على وشك المضي الى رومه اذا به يعلم بوجود البابا اوربان الثاني في تلك النواحي فرفع اليه رسالة البطرك ومسيحي القدس, ووصف له ما يعانونه من الاهوال والمتاعب على ايدي الطغاة الموجودين في الاماكن الطاهرة ونقل اليه في دقة وبراعة ما عهد اليه به"(٣٠).

وعلى الرغم مما كان فيه البابا من بلاء عظيم(التنافس والصراع مع الامبراطور الماني المتوارث من ايام سلفه (غريغوري السابع)(٣١), الا انه احسن لقاء الموقر بطرس الذي شغل نفسه منذ رجوعه من القدس بتنفيذ المهمة التي القت على عاتقه, فوعده اوربان وعدا من الرب الذي هو خادمه انه مبادر لمساعدته في مسعاه الذي جاء اليه من اجله متى لاحت له الفرصة, حينذاك اشتعلت الحماسة في نفس بطرس الذي راح يذرع كافة ارجاء ايطاليا وعبر جبال الالب ولم يترك اميرا من الامراء الا زاره ,غير مدخرا وسعا في حثهم جميعا ولومهم فنجحت تحذيراته بفضل الرب ..ولم يكتف بطرس بما أثمرته دعوته بين الامراء وحدهم, لكنه تطلع الى ان تؤدي تحذيراته القوية الى تحريك نفوس العامة واهل الطبقة الدنيا, واشعال جذوة حماسهم للقيام بنفس الواجب(٣٢).

ويذكر المؤرخ اللاتيني المتأخر نسبيا صاحب كتاب ورود التاريخ "كان هناك راهبا اسمه بطرس ,يمارس اعمال النسك وكان قبل قليل من الاحداث ارتحل الى خارج فرنسا ,ذلك انه كان مرتبطا بعهد الحج الى الارض المقدسة ,وكان عندما وصل الى مقصده, دفع الرسم الذي كان مفروضا بموجب القانون الذي تولى تنظيم قبول الحج ودخولهم المدينة ,وقد تسلم مقر اقامة في بيت اسرة مسيحية, وسمع من مضيفه رواية عن الاوضاع التعيسة للمؤمنين الحقيقيين الذين اقاموا تحت سلطة المسلمين, وتأييد الذي سمعه هنا فيما بعد بما راه شخصيا

بأم عينه , وقد سمع من سمعان بطريرك المدينة ,كان رجلا متدينا يخاف الرب, وقد ذهب اليه وتحدث اليه كثيرا.. وتعاطف بطرس مع التعاسة التي عانى منها اخوانه وقد قال للبطريرك "كن متأكدا لو ان الكنيسة الرومانية وامراء الغرب ,امكن اعلامهم بهذه الاوضاع والاحوال المأساوية من قبل من يمكنهم الاعتماد عليه ,لكان من المؤكد بذلهم الجهد لإيجاد علاج لما تعانون منه وبناء عليه أكتب رسالة الى البابا, والى الكنيسة الرومانية وايضا الى ملوك الغرب ,وانا ليعينني الرب لأجل انقاذ نفسي سوف اتحدث عن ضخامة عذابكم ,وسوف ادعوا الجميع وكل واحد للإسهام في سبيل تخليصكم ,وقد افرح هذا الكلام البطريرك والاخرين الذين حضروا ,ووضع في يد بطرس ,مع كثير من الشكر الرسالة التي طلبها"(٣٣).

وبحسب رنسيمان ان من اسباب نجاح بطرس في مهمته التبشيرية يرجع الى ان حياة الفلاح في شمالي غربي أوربا كانت قاسية ,ولم تكن آمنه وترك قسم كبير الاراضي الزراعية ,بسبب غزوات المتبربرين وتعرضت القرى الى النهب والسلب على ايدي قطاع الطرق, كما ان قسما من معاناة الاوربيين وحروبهم الاقطاعية وردت في خطبة البابا اوربان الثاني ,فضلا عن الفيضانات والاوبئة سنة ١٠٩٤م وما اعقبه من الجفاف والمجاعة جعل من فكرة الهجرة مقبولة, كما كان للرؤى والتنبؤات اثرها في عقول مجتمعات أوربا ذلك الوقت وظن الناس ان بطرس كان يعلم الغيب ,واعتقد رجل العصور الوسطى ان القيامة اضحت وشيكة الوقوع ,فينبغي ان يستغفر طالما لازال ثمة فسحة من الوقت, ومن تعاليم الكنيسة انه يصح التكفير عن الذنب بتأدية الحج, وتشير التنبؤات انه ينبغي ان تعود الارض المقدسة الى المسيحية ,قبل هبوط المسيح للمرة الثانية(٣٤).

ويبدو ان حماسة بطرس وفصاحته وهيئته الغريبة بثيابه المهلهلة وقدميه العاريتين وحماره الاعرج جعلت منه شخصية ذات تأثير خطير على الجماهير العامة والدهماء في فرنسا, حيث انهم كانوا لا يكادون يستمعون الى حديثه حتى تغلب عليهم الحماسة فيجتمعون في سرعة غريبة ويشرعون في الزحف صوب الشرق دون اعطاء او انتظار البابا والامراء فرصة لتنظيم الحركة الصليبية تنظيما جديا من الناحيتين السياسية والعسكرية(٣٥).

وتعزو آنا كومنينا سبب الحملة الصليبية او ما تسميه الهجرة الجماعية الى "ان رجلا كلتيا اسمه بطرس ويعرف بكوكو بطرس خرج ليصلي عند القبر المقدس لكنه عاد بصعوبة الى موطنه بعد ان صادف شدائد جمة وقاسى اسوء معاملة من جانب الترك الشرقيين الذين كانوا ينهبون كل آسيا, ولما كان كارها للاعتراف بفشله فقد اراد ان يجرب حظه مرة ثانية في القيام بنفس المحاولة, ولكنه ادرك ما ينطوي عليه سفره وحيدا من الحماقة تخوفا من حدوث اشياء تكون اكثر ضررا به ,ومن ثم دبر حيلة ماهرة إذ مضى يبشر في جميع الاقطار اللاتينية وقال انه سمع صوتا الهيا أمره بأن يعلن الى جميع الكونتات في فرنسا بوجوب مغادرة بلدانهم والنهوض الى اداء الصلاة في الهيكل الطاهر ,وان يجاهدوا بأرواحهم وقواهم لتخليص بيت المقدس من ابناء هاجر"(٣٦),وهي بذلك تحاكي رواية البرت اوف آخن الى درجة كبيرة.

وتكمل كومنينا "والعجيب في الامر انه نجح في دعواه هذه وكأنه صب في كل قلب قبسا ربانيا, فتوافد الكلت زرافات بعضها في اثر بعض من شتى النواحي حاملين اسلحتهم ومستصحبين جيادهم وكل تجهيزاتهم الحربية وفاضت بهم الحماسة والحمية فتزاحموا وساروا عبر جميع الطرق وجاء مع هؤلاء المحاربين حشد من المدنيين كانوا في كثرتهم كرمل شاطئ البحر او كنجوم السماء في عددها, وقد حملوا معهم سعف النخيل ورسموا الصليب على اكتافهم, وكان فيهم النساء بل والاطفال الذين تركوا وراءهم اوطانهم وكانوا أشبه بروافد متعددة المنابع وتدفقوا في قوة جارفة نحونا ونحو (داكيا)على وجه الخصوص"(٣٧).

وانتشرت دعوة بطرس التبشيرية وكانت الهزة هائلة التي تمخضت عن خروج الرجال والنساء حدثا لم تعي الذاكرة مثيلا له من قبل ,فقد كانت جموع البسطاء والحق يقال مدفوعة بحنينها الجارف للصلاة عند ضريح سيدنا, وكان تلهفها لزيارة الاماكن المقدسة شديدا"(٣٨).

وفي مبالغة مقصودة ذكرت كومنينا "لقد كان بطرس الناسك بعد ان بشر بحملته اول من عبر مضيق لمباردیا على رأس ثمانين الف شخص من المشاة ومائة الف من الفرسان ووصل العاصمة عن طريق البحر"(٣٩),وكانت بداية الرحلة يوم ١٥ اغسطس سنة ١٠٩٦م(٤٠)

من اللافت للانتباه انه لم يتناول مؤرخو الحملة الصليبية الاولى حملة بطرس الناسك او ما تسمى بالحملة الشعبية بشيء من التفصيل ,كما فاضت كتاباتهم عن الحملة النظامية ,ولعل السبب في ذلك الفشل ذريع الذب باءت به ,ومقتل ووفاة غالبية من شارك فيها سواء بالطريق او بسبب غارات قطاع الطرق او بالجوع او على يد السلاجقة ,فجاءت تعليقاتهم مقتضبة الى حد بعيد فمثلا فوشيه يذكرها فقط عند مرور جيش الصليبيين النظامي على هياكل افرادها العظمية بالقرب من مدينة نيقيه.

اما ريموندا جيل فيبدأ من حيث انتهت الحملة بهروب من تبقى منهم من اسيا الصغرى الى القسطنطينية.

وكان بطرس الناسك في تنقله بين المقاطعات والاقاليم الاوربية المختلفة يركب على بغل ويحمل بيديه صليبيا ,وقد امتلك قوة هائلة لتحريك الجماهير بكلماته وخطبه النارية مناديا بحرب الصليب في الطرقات والازقة والميادين والاسواق والكنائس والاديرة من اجل تخليص قبر السيد المسيح(٤١).

ويعود سبب نجاحه في التبشير الى ان حياة الفلاح في شمال غرب اوربا كانت قاسية وغير آمنه فضلا عن الحروب الاقطاعية المستمرة (٤٢).

وما اسفر عن تهدم السدود واكتساح الفيضانات بلاد فرنسا والمانيا سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م(٤٣).

وعلى الرغم من ان بطرس الناسك لم يشهد ,فيما يبدو مجمع كليرمونت ,فانه لم تكد تنتهي سنة ١٠٩٥م, حتى اخذ يبشر بالحرب الصليبية ,بدأ رحلته من مدينة بري, في فبراير ومارس واجتاز اورليانيه وشامبانيا الى اللورين ومنها الى مدن الميز ,واخن الى كولونيا حيث امضى عيد القيامة وحشد من مريديه من انفذهم الى المناطق التي لم يكن بوسعه ان يزورها ومن هؤلاء المريدين والتر المفلس ورينالد برايس ,الخ, واينما توجه بطرس او نوابه غادر الرجال والنساء دورهم كيما يتبعوه, فلم يكد يبلغ كولونيا, حتى بلغ عدد اتباعه ١٥ الف شخص اذ ازداد عدد من انحاز اليه في المانيا(٤٤).

على اية حال واصل بطرس الناسك دعوته في شتى انحاء فرنسا والمانيا وفي كل مكان كان يذهب اليه ,تنضم جموع جديده من المعدمين والجياع وبعض الفرسان المشاغبين ,وكان

يتلقى هبات وعطايا ضخمه فيوزعها على الفقراء المنضمين الى قافلته ,وربما كان هذا من اهم الاسباب التي جعلت الجموع ترفعه الى درجة سامية من القداسة التي لم ينلها احد من قبل على حد تعبير جيوبرت النوجنتي ,وعندما وصل الى كولون في المانيا كان خلفه حوالي خمسة عشر الفا من غير المحاربين والنساء والاطفال (٤٥).

وما ان وصل بطرس الناسك الى كولونيا في ١٢ نيسان ١٠٩٦م دعى الالمان للاشتراك بالحملة الصليبية وصادفت دعوته النجاح وانظم اليها عدد من صغار النبلاء ,وحوت حملة الشعوب اخلاط متحمسين ومن فئات مختلفة ,والبعض اصطحب معه زوجته واطفاله ,وكان معظمهم من الفلاحين ,والقليل من سكان المدن وصغار النبلاء ,ومنهم من كان من قطاع الطرق ومجرمين ,ولم تكن الرابطة التي تجمعهم سوى الحماس الديني(٤٦), الا انه كان عاجزا عن فرض الحد الادنى من الانضباط على جماعته اثناء تلك المسيرة الطويلة ,فقد انظم عدد غير قليل من المتسكعين والافاقين الى حملته ,ولكن هؤلاء العصاة المنحرفين سرعان ما عادوا الى سيرتهم الاولى ,حتى وصل بهم الامر الى نهب مدينة سملان في هنغاريا ,ونيش في الاراضي البيزنطية ,مما دفع سلطات الاخيرة الى ابادة الآلاف منهم, فيما تمت السيطرة على الاخرين ,ابان انحدارهم من نيش الى القسطنطينية.(٤٧).

ووصل بطرس الى حدود هنغاريا(المجر) مع اربعين الف رجل مسلحين ,وهناك تابعوا السير نحو مالا فيلا ,وهناك سمعوا بالخسائر الكبيرة التي عانى منها اتباع والتر المفلس التي وصلت لثلاثين الفا من الصليبيين " (٤٨).

وبحسب فوشية الشارتري كان بطرس هو اول من رحل عبر بلاد المجر(٤٩).

ويشير وليم ان سعي بطرس بين الشعوب والممالك وتبشيره بينهم كان شديد الضرورة بالنسبة للبابا الذي اجمع امره ان يتبعه دون ابطاء الى ما وراء الجبال ,ذلك لان كلام بطرس كان يفتح قلوب سامعيه لطاعته فلا يجد البابا صعوبة في دعوتهم الى نفس الامر الذي يؤدي الى تحقيق هدفه تحقيقا يجعله قادرا على التأثير فيهم(٥٠) ليعقبها ذهابه الى كليرمون في فرنسا والقاء دعوته(٥١).

زحف بطرس عبر مقاطعات لوثاريجيا وفرانكونيا وبافاريا والاقليم المسمى بالنمسا, وكانت تحت امرته حشد ضخم يكاد يقرب من اربعين الفا جعل منهم جيشا على اختلاف اممهم

وقبائلهم والسنتهم وشعوبهم, فلما اشرف بهم على تخوم مملكة المجر بعث برسالة الى ملكها, فجاءه الاذن في يسر بالدخول ,على ان يسير في المملكة في هدوء ,غير محدثا ازعاجا ولا مسببا شغبا فاستجاب بطرس لما اشترطه الملك, وامده اهلها بكميات كبيرة من الطعام قدموها اليه بثمن معقول ووفق شروط طيبة ,فتقدم العسكر في هدوء في المدينة حتى جاء نبأ ما حاق برفاقهم الذين سبقوهم بقيادة ولتر في احدى المدن المجرية المسورة معلقا عليها اسلاب رفاقهم فهاجموا المدينة فلقي غالب اهلها مصرعهم ما يناهز اربعة آلاف, بينما فقد بطرس مئة رجل فقط واستقروا في المدينة خمسة ايام لما فيها من الطعام(٥٢).

والواقع ان بطرس الناسك كان يتبع اثر والتر المفلس في جموع ضخمه ولذلك تحرك ولتر للقائه في بلغراد وسار جيش بطرس بمتوسط ٢٥ ميلا في اليوم ,وفي المجر يبدو ان رجال من جيش بطرس وعلى الرغم من ارادته هاجموا مدينة سملن واستولوا اعلى قلعتها ولقي اربعة الاف مجري مصرعه ,ووقع في ايدي رجال بطرس مقدار كبير من المؤن ,ثم بادر الجنود الى اجتياز نهر الساف خوفا ان يتعرضوا لانتقام المجريين. (٥٣).

ووصف وليم فعلته بالقول "هنا نجد بطرس بفعلته يجاري اللصوص وقبل ان يتحرك ملك المجر للانتقام لما اصاب سكان احدى مدنه سارع بطرس بالاستيلاء على السفن الراسية المجاورة للمدينة التي نكبت على ايديهم وحمل فيها ما باستطاعة السفن من استيعابها من ماشية ودواب وانتقلوا الى الشاطئ المقابل واقاموا معسكرهم" (٥٤).

غير ان الطامة الكبرى التي اصابت جيشة كانت مع البلغار فما حواه جيشه من اللصوص والرغبة في الاعتداء على ممتلكات الغير ورطهم في صدام عسكري انتهى بهروب جماعي لجيشه الذي اراد الانتقام لمقتل عدد من افراده ,وقتل ما يقارب العشرة الاف من جيش بطرس ,واستولى البلغار على العربات ,ونهبوا ما عندهم من متاع وسبوا الكثير من النساء واسترقوا العديد من الاطفال(٥٥).

وهنا وليم يتفق مع ما ذكره البرت اوف آخن مؤرخ هذه الحملة ان ذكر انه تجمع بعض السكان امام قصر نيكيتاس الامير البلغاري ,وصرخوا بان بطرس ورفاقه ليسوا مسيحيين حقيقيين ,وانما مزيفين وانهم لصوص وقطاع طرق ,وليسوا اناس مسالمين(٥٦) وواصل بطرس مسيره رغم ذلك بسرعة للخروج من الاراضي البلغارية والدخول في اراضي

الامبراطورية البيزنطية ,واخطر نكيتاس القائد البيزنطي بقدوم بطرس نحو القسطنطينية, وكان الالمان في جيش بطرس مثيرين للشغب والفوضى على طول الطريق وعندما وصلوا صوفيه تبين انهم فقدوا ربع جماعتهم(٥٧).

كانت رؤيته آنا كومنينا عن الصليبيين القادمين مع بطرس الناسك في غاية السلبية بقولها "ان جيوشا كثيفة من الفرنجة آخذة في الاقتراب, فساوره(والدها الامبراطور الكسيوس كومنين) القلق من جراء وصولهم لعلمه بما هم عليه من اندفاع جموح وطبع فاسد ,ناهيك عن الصفات الذاتية التي طبع عليها ,كما خاف من العواقب الوخيمة التي لابد ان يسفر عنها ما يقع منهم, ومثال ذلك جشعهم الذي يقود دائما لجلب اتفاقياتهم من غير مبرر يرتضيه الضمير(٥٨),"ان الكلت كما يعرف الناس جنس حاد الطبع سريع الانفعال ,شديد الطمع ,ما ان تلوح الفرصة امامهم فيما يشتاقونه حتى يصبحوا قوما يعجز الكل عن كبح جماحهم"(٥٩), وحتى ان هذه الاخبار والسمعة السيئة لجيش بطرس قد سبقت وصوله الى القسطنطينية فكان الامبراطور على علم بها مما دفع الاخير الى ارسال رسالة الى بطرس الناسك جاء فيها" بطرس لقد وصلت شكاوي عديدة الى القيصر حول تصرفاتك ,وتصرفات جيشك المرافق ,وبأن جيشك الموجود حاليا على اراضي الامبراطورية البيزنطية قد سلب ونهب وجلب الاضطراب الى اراضي القيصر, وهو يأمرك بأن تحضر الى مقر حكمه الى القسطنطينية ,ويسمح لك بأن تقيم فيها ثلاثة ايام ,وحتى وصولك الى القسطنطينية ,يجب ان تمر مع جيشك في المدن على الطريق بسلام ,ودون حوادث ,وان تحافظ على الناس المسيحيين في هذه المناطق, لأنك انت وجيشك ايضا مسيحيون ,وان القيصر سيسامحك من قلبه على اعمالك ضد الامير نيكيتا وان كل هذه الاعمال كانت خارجة عن ارادتك"(٦٠).

وفي الحقيقة ان هذه الرسالة اسعدت بطرس الناسك فكانت مؤشر لانتهاء معانات جيشه الجائع فسارع بالانصياع الى اوامر الامبراطور وعند وصوله الى ابواب القسطنطينية امره القيصر بأن يعسكر خارج الاسوار واعطاه الرخصة او السماح بشراء ما يحتاجه الحجاج من مواد ضرورية(٦١).

وعند وصول هذه الجموع قام الامبراطور بأرسال قواته لكبح جماحها من غير شدة بعد نهبهم وشنهم الغارات على كل بلد يمرون به وتزويدهم بالميرة وما يكفيهم من طعام طيلة

رحلتهم وصحب هؤلاء العسكر مترجمين يجيدون اللغة اللاتينية لإخماد اي فتنة تحدث بين الحجاج والاهالي(٦٢) حتى بلغوا القسطنطينية بعد رحلة شاقة ,فلما بلغوها وجدوا والتر المفلس وقواته فانضم المعسكران الى بعضهما البعض ,وخيموا في المعسكر الذي خصص لهم ,واستجاب بطرس للاستدعاء الامبراطوري ,فدخل المدينة ووقف في الحضرة الملوكية التي سألته عن مقاصده ,فاسهب بطرس في شرح الامر اسهابا دل على ما هو عليه من فصاحة اللسان ,واخبره ان اكبر امراء الغرب قادمون في اثره ,واظهر بطرس امتلاكه لناصية البلاغة مما حمل كبار رجال القصر على الاعجاب بفطنته وشجاعته ,ثم صرفه الامبراطور محملا بالهدايا, وامره بالعودة الى جنده(٦٣)

عودة بطرس الناسك الى الشرق:

وذكر رنسيمان وصول بطرس الى القسطنطينية في الاول من اغسطس /آب سنة ١٠٩٦م,وكان الامبراطور حريصا على لقاء قائد الحملة ,حيث ظفر بطرس بالمال, وحضي بالنصائح الطيبة ,وادرك الامبراطور الكسيوس ,بما له من تجربة وخبرة ,ان هذا الجمع الصليبي ليس مما يثير الخوف في القلوب, وخشي ان عبر هذا الجمع الى اسيا الصغرى ,فسوف يدمره الاتراك المسلمون تدميرا سريعا ,غير ان ما ساد ذلك الجمع من قلة النظام والاضطراب دعا الامبراطور الى المبادرة بأجلائهم عن الجهات المجاورة للقسطنطينية ,ولم يسمح لدخولهم الا بجماعات صغيره الا أنهم مارسوا اللصوصية حتى من خلال سرقة قطع الرصاص من الكنائس ,وعندما قدم والتر المفلس انحازوا الى حملة بطرس ,ثم نقل كل قوات بطرس عبر البسفور ومن الشاطئ الاسيوي الى نيقوميديا (٦٤),اذ لم تمضي الا ايام حتى صدر الامر الامبراطوري بتزويدهم بالسفن يعبرون بها البسفور واقاموا في (سفتوت) وظلوا مقيمين قرابة الشهرين ..الا انهم كونوا جماعات لا تأتمر بأحد وراحوا يتوغلون في البلاد على غير رضى من رؤسائهم ,فساقوا منها قطعان الماشية والدواب ,وطالما جاءتهم كتب من الامبراطور تحذرهم من مغبة ما يقترفون ويأمرهم بالبقاء في الموضع المخصص لهم(٦٥).

وذكر مؤلف مجهول ان بطرس كان اول الذاهبين الى القسطنطينية فبلغها يوم ٣٠ يوليو سنة ١٠٩٦م وبصحبته الفريق الاعظم من الالمان, وهناك انظم اليه اللمبارديون وكثيرون سواهم ,فامر الامبراطور بتزويدهم بالميرة بقدر ما تسمح به طاقة البلد, وقال لهم لا تعبروا

البسفور قبل وصول بقية الجيش المسيحي لأنكم لستم بالكثرة التي تمكنكم من محاربة الترك ,فسار المسيحيون أسوء سيرة ,اذ خربوا قصور المدينة واضرموا فيها النيران وخلعوا الرصاص الذي كانت تغطى به الكنائس وباعوه للإغريق ,فتلظى الامبراطور غضبا عليهم, وامر وهو في سورة حنقه بأبعادهم عن البسفور(٦٦).

وكان ذلك ف آب من سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٦م ونزلت قاعدة عسكرية بيزنطية قديمة على الساحل الجنوبي لخليج نيقوميديا وتسمها المصادر البيزنطية(كيبوتس . Kibotes)بينما تذكرها المصادر اللاتينية (سيفتوت . Civitot)في ضواحي بلدة (هيلينوبوليس .Helenopolis)قرب البسفور, وتبعد نحو ٣٥ كم شمال غرب مدينة نيقيه,وقد وقع الاختيار على هذا الموقع لتعسكر فيه الحشود الصليبية لأهميته الاستراتيجية ولسهولة تزويده بالمؤن بحرا من القسطنطينية(٦٧).

ونفهم من صاحب اعمال الفرنجة تفرق قيادة الصليبيين عند عبورهم الطرف الاسيوي وتراس اللمبارديين والالمان شخص يدعى رينالد بعد تكبر الفرنجة عليهم وساروا متجاوزين نيقيه واحتلوا احدى القلاع واسمها (اكسر كوركو. Exerogorgo)وقد خلت من كل مدافع عنها فاستولوا عليها ,وعثروا فيها على كميات من الميرة والحنطة والخمر واللحوم (٦٨),ولكنهم حوصروا من قبل الترك حتى بلغ بهم الظمأ شرب دماء احصنتهم وحميرهم وشرب بولهم حتى استسلموا للترك(٦٩).

وتفاصيل هذه الحادثة وما اعقبها نجدها عند آخن الذي يذكر انه بعد شهرين لم يعد الشبان في الجيش يستمعون لأوامر بطرس الناسك وذهبوا الى الجبال المحيطة بعاصمة سلاجقة الروم نيقيه * التي كان يحكمهم سلطان سلاجقة الروم قلج ارسلان (٤٨٥- ٥٠٠هـ /١٠٩٢-١١٠٧م),واخذوا يسرقون الحيوانات والابقار والماعز والاغنام التي كانت تخص اليونانيين وكانوا تجار اتراك وجلبوها الى معسكر بطرس ,مما سبب بحزن بطرس الناسك وحذرهم من مغبة عصيان اوامر القيصر, وعندما رأى الالمان ما حققه فرنجة الجيش من غنائم ,قام ثلاثة آلاف من المشاة مع مائتي فارس بالاتجاه الى الجبال المحيطة, والغابات التي تبعد ثلاثة اميال عن نيقيه ,ووصلوا الى قلعة او حصن قلج ارسلان ,واستطاعوا اسر حامية الحصن كلهم, اما المسيحيون اليونان فتركوهم دون اذى ,اما الاخرون فقد قتلوهم

,ولاحقوا الفارين منهم ,وبعد ان احتلوا الحصن وهرب سكانه منه ,سر الالمان كثيرا بالغنائم التي حصلوا عليها من المواد الغذائية التي وجدوها واحتفلوا بهذا الانتصار الكبير, وقرروا البقاء في الحصن, وسيطروا على الاراضي المحيطة بالحصن, وبقوا على هذه الحال ينتظرون وصول جيش الامراء الصليبيين الكبير(٧٠).

يعبر آخن عن الجانب الآخر (العدو)بقوله "عندما سمع امير الاتراك قلج ارسلان بوصول الصليبيين وسلبهم ونهبهم وتخريبهم, نادى على الاتراك في آسيا الصغرى اليونانية, ومملكة فارس فتجمع لدية خمسة عشر الف مقاتل من رجال الخبرة في الحرب, مزودين بالسيوف والسهام, وتجمع هذا الجيش بعد يومين من انتصار الالمان وجاء قاصدا نيقيه وكانوا مشحونين بالغضب والالم من هجوم الالمان وغزوهم للحصن وقتلهم وتشريدهم الاتراك, وعند اليوم الثالث وصل الامير قلج ارسلان فجر مع جيشة الى ضواحي الحصن ,واخذ الالمان الموجودين على اسوار الحصن اهبتهم للدفاع عنه, ولكن الاتراك أمطروهم بوابل من السهام ,فكثرت بينهم الاصابات الدموية ,وهربوا داخل الحصن وتركوا الاسوار فاخذ الاتراك بالصعود الى الاسوار ,ولكن الالمان قابلوهم بالحراب وجها لوجه ,واراد الاتراك فتح الباب الرئيسي للحصن ,فجمعوا كل انواع الحطب واشعلوا فيها النار حتى تحترق المنشآت الموجودة في الحصن ,واحترق قسم من الالمان ,والقسم الآخر قفز من فوق الاسوار ,فاعمل الاتراك فيهم القتل, وابقى الاتراك فقط على نحو مائتي شاب جميل الوجه والاجسام, واخذوهم كأسرى ,اما البقية فقد قضوا نحبهم اما بالسيوف او بالسهام"(٧١).

واشار رنسيمان هذه الحادثة بقوله بعد عودة قسم من الفرنجة الى كيفيتوت, حيث باعوا ما غنموا الى رفاقهم, والى البحارة البيزنطنيين وما احرزه الفرنسيون اثار حسد الالمان البالغ عددهم ستة آلاف وبينهم القسس والاساقفة وتجاوزوا في سيرهم مدينة نيقيه واخذوا ينهبون اينما ساروا ولكنهم كانوا ارفق من الفرنسيين فلم يقتلوا المسيحيين ,وبلغوا قلعة اكسير يجوردون, فعالجوا امر فتحها ولما تبين لهم انها زاخرة بالمؤن من جميع الانواع ,قرروا تخاذها مركزا يغيرون منه على الاراضي الزراعية المجاورة ,ولما علم السلطان بأعمال الصليبيين ,ارسل كبار القادة العسكريين على راس جيش كثيف لاسترداد القلعة الواقعة على تل ,وفي ٢٩ ايلول حوصرت القلعة حتى استبد بالألمان اليأس وكادوا ان يهلكوا من العطش

وقرر رينالد الاستسلام بعد ثمان ايام ,ففتح الابواب للعدو بعد ان حصل على وعد بالإبقاء على حياته ,اذا تخلى عن المسيحية ,وكل من بقى وفيا لدينه لقي مصرعه, وتقرر ارسال رينالد واصحابه الاسرى الذين اعتنقوا الاسلام الى انطاكية وحلب والى خراسان(٧٢).

سرت الشائعات في معسكر بطرس بما حدث للألمان فامتلأت القلوب بالحزن والاسى على اخوانهم ,وعقد المجلس الاستشاري لأخذ القرار اما الهجوم الفوري على اتراك نيقيه او انتظار بطرس الناسك الذي ذهب الى القسطنطينية لملاقاة القيصر لطلب المواد الغذائية للجيش واتفق الصليبيون على الانتظار وهو ما استغرق ثمانية ايام وهدأ ولتر الصليبيين(٧٣).

وبحسب رواية آخن نجد ان وصول شائعات بتعقب السلاجقة للصليبيين ورغبتهم بقتل كل الحجاج الذين عبروا الى اسيا الصغرى دفعهم في اليوم الثامن بتنفيذ خيارهم الاول وهو الهجوم على الاتراك(٢١تشرين الاول) وخرج الجميع من معسكر الصليبيين عدا النساء والمرضى والضعفاء, وخرج الجميع واصبح العدد خمسة وعشرين الفا من المشاة وخمسمائة فارس يلبسون الدروع الحديدية ,وبدأوا بالتوجه الى نيقيه ودخلوا لغابة مؤدية الى المدينة وفضل قلج ارسلان التصدي للجيش الصليبي في ارض سهلية مفتوحه ليضمن ابادة الصليبيين بشكل كامل وبالفعل وقبل ان يصطدم الطرفيين امطر السلاجقة الصليبيين بوابل من السهام ,ويدعي اخن بان السلاجقة وبسبب خسائرهم قرروا الانسحاب باتجاه نيقيه ولاحقهم الصليبيون ,ويعدد آخن اسماء القادة الصليبيين الذين سقطوا في هذه المعركة مما يدلل حجم خسائر الجانب الصليبي وعند هروب من تبقى من قادتهم حتى هرب باقي الصليبيين من المعركة متجهين الى معسكرهم , فلاحقهم السلاجقة ودخلوا المعسكر وبحسب اخن انهم قتلوا الجميع من كل الاعمار في معسكر بطرس من الكهنة والاطفال والرضع والنساء الحوامل الا انهم لم يقتلوا البنات الصبايا ذوات العيون والشكل الجميل ,والغلمان دون لحى, وجمعوهم واخذوهم معهم كأسرى ,واخذوا الخيول والبغال والملابس والنقود معهم الى نيقيه, والتجأ من تبقى على قيد الحياة الى حصن مهجور ودافعوا عن حياتهم ضد السلاجقة الذين حاصروهم ,واثناء ذلك استطاع احد اليونان الكاثوليك ان يسافر ليلا الى القصر الامبراطوري ويصل الى بطرس الناسك الذي كان ما يزال هناك ,واستمع القيصر لهذا وقرر

انقاذ ما تبقى من الحجاج وتخليصهم من الحصار وعندما علم الاتراك انسحبوا مع من لديهم من الاسرى الصليبيين من الحصن ,وهكذا تحرر الصليبيون المحاصرون من قبل الكفار(٧٤).

واشار صاحب اعمال الفرنجة الى نهاية الوجود الصليبي في شمال الاناضول بقوله" لما علم الترك بوجود بطرس الناسك وجوتييه سانر افوار ..توجهوا نحوهم متأملين القضاء عليهم والتقوا بجوتييه وجماعته وقتلوهم ,اما بطرس الناسك فقد عاد الى القسطنطينية ,عاجزا عن تنظيم هؤلاء الجند اليائسين الذين اصبحوا عازفين عنه منصرفين عن خطبه, فكر الترك عليهم وذبحوا منهم جمعا غفيرا اذ صادفوا بعضهم مستغرقا في نومه ,والبعض الآخر عاريا عن كل شيء فقتلوهم عن بكرة ابيهم, والقى بعضهم نفسه في البحر ,ولاذ غيرهم الى الاحراج والجبال تخفيا بها فانطلق الترك في اثارهم وكدسوا الاخشاب لحرقهم والمدينة معا...واخيرا تمكن الترك من اخذهم احياء وتقاسموهم فيما بينهم كما فعلوا مع الذين سبقوهم من قبل ,وشنقوهم في كل النواحي, وساقوا البعض الى خراسان ومضوا بالبعض الى فارس ,وقد جرت كل هذه الحوادث في شهر اكتوبر"(٧٥).

واطرد صاحب اعمال الفرنجة بقوله انه" لم يكتم الامبراطور فرحه العظيم حين ذاع خبر تشتيت الترك لرجالنا واصدر امره بنقلهم عبر البسفور بعد ان جردهم من كل سلاح يحملونه"(٧٦).

ولم يكن صاحب اعمال الفرنجة الوحيد الذي المح الى تسبب الامبراطور البيزنطي في الكارثة التي تعرض لها الصليبيون بل نجد ان ريموندا جيل يذكر ذلك صراحة بقوله بقوله "في ذلك الوقت علمنا انه عندما وصل بطرس الناسك وحشود المزارعين التي صحبته الى القسطنطينية قبل شهور من وصول القوة الصليبية الرئيسية ,خانه الكسيوس ,بان اجبره واتباعه والذين لم يكونوا على معرفة بموقع الحرب ولا بفنونها, على عبور المضايق ,وليس معهم دفاعات ضد الاتراك ,وهكذا فعندما شعر اتراك نيقيه بانهم وقعوا على فريسة سهله ,قتلوا بسرعة وسهولة ستين الفاً من المزارعين ,ولم يفلت منهم الا من فروا ولجأوا الى احدى القلاع, وتجرأ المنتصرون وركبهم الغرور لنجاحهم, فارسلوا الاسلحة التي استولوا عليها والصليبيين الذين اسروهم الى نبلائهم والى القادة المسلمين في اماكن نائية ,ونشروا في

بلادهم كتابات تفيد ان الفرنجة لم يكونوا اهل حرب"(٧٧), ولعله في هذا يمهد الى الاوصاف التي اطلقها على الامبراطور من خيانته للصليبيين المحاصرين لمدينة نيقيه في الحملة النظامية.

ولم يشذ وليم الصوري في اتهام الامبراطور الذي نعته بالخائن الوغد(٧٨),بل ان الاغرب ان مؤرخا مسلما وهو العظيمي يذكر "كتب ملك الروم الكس الى المسلمين يعلمهم بظهور الفرنج"(٧٩).

ونستطيع القول ان الجهة التي كاتبها الامبراطور كانت سلاجقة الروم وقلج ارسلان تحديدا ,ولعل سبب ذلك تخوف الامبراطور الذي عرف بحنكته السياسية من الصليبيين ونواياهم المنحرفة تجاه القسطنطينية, وهو ما حدث لاحقا بعد قرن ونصف في الحملة الصليبية الرابعة(١٢٠٢-١٢٠٤م),كما توقع ان الامور ستؤول لصالح السلاجقة وحتى لا يظهر بمظهر المعادي لهم بسبب استقباله للصليبيين وسماحه لهم بعبور اراضيه ,اعلم السلاجقة الروم ليأمن جانبه منهم في المستقبل من اي انتقام.

في حين نجد ان ابنة الامبراطور كومنين في كتابها تذكر "نصيحه الامبراطور بالتريث حتى يصل الكونتات الآخرون, لكنه لم يأخذ بالنصيحة اعتمادا منه على كثرة عدد الذين معه, بل عبر مرمره ونصب معسكره قرب موضع صغير يسمونه هيلينوبوليس وما لبث ان انضم اليه بعد قليل عشرة آلاف نرمندي انفصلوا عن الجيش وراحوا يعيثون فسادا في اطراف نيقيه وسلكوا مع الاهالي مسلكا رزيا ينطوي على الوحشية والفضاضة فقطعوا الاطفال الرضع اربا واجلسوا آخرين على الخوازيق الخشبية والقوا بهم في النار ,كما تعرضوا للشيوخ والعجزة فانزلوا بهم اشد انواع التعذيب ,فلما وقف سكان البلد على ما هو جار فتحوا ابواب مدينتهم وهاجموهم وشبت معركة حامية الوطيس حارب فيها النورمان في عنف وضراوة حملت اهل نيقيه على الارتداد الى داخل قاعدتهم, وحينذاك عاد العدو ادراجه الى هيليسبونت حاملا معه الغنائم التي وصلت اليها يده ثم شبت منازعات مألوفة في مثل هذه الظروف لأن الحسد كان يأكل صدور الآخرين منهم ,..فانطلق النورمنديون المتهورون للمرة الثانية واستولوا على زيروجردس فرد السلطان السلجوقي قلج ارسلان على ما جرى بأن ارسل قوة كبيرة لتأديبهم بقيادة الخان الذي وصل الى زيروجردس واخذها وقتل من النورمان بعضا

واسر بعضا, ومن ثم بدأ يرسم خطة مواجهة بقيتهم فنصب العديد من الكمائن. .ولما كان يعرف ايضا حب الكلت للمال فقد استعان بخدمات رجلين شديدي العزم ارسلهما الى معسكر بطرس يعلنان اليه ان النرمان قد استولوا على نيقيه وهم الان يتقاسمون فيما بينهم كل شيء في المدينة ,وكان لهذ الخبر اثره العجيب في نفوس رجال بطرس ..لهذا خرج كثيرون من هؤلاء الذين مع بطرس خروجا عشوائيا من غير اكتراث ,فلما وصلوا الى مقربة من نهر داركون سقطوا في الكمين الذي نصبه لهم الاتراك السلاجقة الذين فتكوا بأغلبهم وهلك اكثرهم بسيوف اولاد اسماعيل حتى انه لما جمعوا قتلاهم ومن تناثرت اشلاؤهم هنا وهناك صارت اكواما ,ولا اقول انها صارت تلالا او اكمه بل غدت جبلا كبيرا متسعا ,وكانت العظام متناثرة بكثرة هائلة حتى ان بعض الرجال من نفس جنسهم كانوا يبنون بعض الاسوار بعظام هؤلاء الهلكى يتسلونها كأنها الحصى يملئون به الفجوات, وهكذا صارت المدينة قبرا لهم ولايزال السور المحيط بهذه المدينة مشيدا من هذه العظام والحجارة ولما انتهى القتل عاد بطرس الى هيلينوليس ومعه حفنة من الرجال ,وكان السلاجقة الاتراك قد ارادوا القبض عليه فنصبوا له كمينا ولكن لما تنهى الى علم الامبراطور خبر هذا الكمين والمذبحة المروعة التي جرت وجد انه من اسوء الامور ان يقع بطرس الناسك هو الاخر اسيرا في يد السلاجقة لذلك ارسل الامبراطور لمساعدته قسطنطين كاتاكالون الذي طالما ورد ذكره في ثنايا تاريخي هذا وارسل صحبته عسكرا كثيفا قد تمرسوا بفن الحرب والقتال ,فلما ابصر الترك بطرس يدنوا منهم بعسكره لاذوا بالفرار ,فبادر كاتاكالون الى اخذ بطرس ورفقته وكانوا قلة وجاءوا بهم سالمين الى الكسيوس الذي أعاد على سمع بطرس ما كان منه من الحماقة منذ البداية ,واضاف قائلا ان هذه النكبات التي حاقت به انما ترجع الى عدم استماعه للنصيحة ورفضه الاخذ بها ,ولكن بطرس بما طبع عليه من العجرفة اللاتينية ونظرا لمسؤوليته لما جرى القى اللوم على كاهل رجاله لانهم كانوا كما قال لا يعرفون الطاعة وانما يتبعون اهواءهم ,ونعتهم بانهم لصوص وقطاع طرق واعتبرهم غير جديرين من المخلص بدخول كنيسة القيامة للصلاة بها(٨٠).

اما ردت فعل الامبراطور البيزنطي فقد اوضحتها كومنين "علم الامبراطور خبر هذ الكمين والمذبحة المروعة التي جرت وجد ان من اسوء الامور ان يقع بطرس الناسك هو

الآخر اسيرا في يد السلاجقة لذلك ارسل الامبراطور لمساعدته ..واخذ بطرس ورفقته وكانوا قلة وجاء بهم سالمين الى الكسيوس الذي اعاد على سمع بطرس ما كان منه من الحماقة منذ البداية ,واضاف قائلا إن هذه النكبات التي حاقت به انما ترجع الى عدم استماعه للنصيحة ورفضه الأخذ بها ,ولكن بطرس بما طبع عليه من العجرفة اللاتينية ونظرا لمسؤوليته عما جرى, القى بلوم على كاهل رجاله لانهم كانوا كما قال لا يعرفون الطاعة وانما يتبعون اهواءهم ونعتهم بانهم لصوص وقطاع طرق واعتبرهم غير جديرين من المخلص بدخول كنيسة القيامة للصلاة بها"(٨١).

ولا تختلف رواية وليم الصوري عن رواية كومنينا كثيرا فيما آلت اليه حملة بطرس في اسيا الصغرى "ذهب بطرس الى المدينة الامبراطورية عساه يحصل على تخفيض ثمن ما يشترونه ,فاغتنم العسكر المشاكس الذي لم يألف النظام فرصة تغيب بطرس, وساروا سيرة رعناء حين قامت طائفة منهم, وقوامها سبعة آلاف جندي من المشاة وضموا اليهم ثلاثمائة فارس وزحفوا جميعا نحو نيقيه من غير اكتراث باعتراض رفاقهم الاخرين ,ورتبوا صفوفهم للحرب فاندفعوا فساقوا ضواحي المدينة عددا كبيرا من القطعان والاغنام ,وعادوا بها سالمين الى المعسكر" ,مما حفز اخرين (التيتون)بعد نجاح اللاتين لسلوك ذات المسلك واحتلوا قلعة "أكسير يجور دون" Vekigoerdon وهناك حاصرتهم جنود السلاجقة المسلمين وقضت عليهم ، ثم قضت على المجموعة التي كان يقودها "جفرى بوريك" الفرنسى وهم في طريقهم من "كيفتيوت" إلى "نيقيه". .اذ ان غفلة السلاجقة لم تكن هي ذاتها معهم فتعرضوا الى الهلاك على يد قلج ارسلان سلطان سلاجقة الروم ,وعند وصول الانباء الى المعسكر تعالت الاصوات للانتقام, فخلفوا وراءهم النساء والاطفال والشيوخ العزل من السلاح وكانوا خمسة وعشرين الفا من المشاة المدججين بالسيوف, ومائتين من الفرسان المجهزين احسن تجهيز ,وكانت وجهتهم ناحية التل في اقليم نيقيه ,وما كادوا يبلغون ثلاثة اميال في الغابة حتى بلغها قلج ارسلان بجيشه وانسحب الى سهل خارج الغابة مستدرجا الصليبيين اليها ورغم استبسال الطرفين في القتال الا ان كثرة العدو ادت الى اضطراب صفوف الصليبيين في النهاية والفرار وملاحقة السلاجقة لهم الى معسكرهم واحدثوا فيه مجزرة شنيعة ,نجى من هذه المعركة بضعة رجال من ذوي المكانة منهم والتر المفلس ,ورينه دي بروس وفولشر دي

ارلنانز وغيرهم, اما الخمسة والعشرون الفا من الجند المشاة ,والخمسمائة فارس الذين خرجوا من المعسكر قد راح معظمهم بين قتيل واسير ولم يبق قلج ارسلان على حياة احد من معسكر الصليبيين سوى الصبيان والبنات الصغيرات ليضرب عليهم الرق"(٨٢).

وهكذا خرج الصليبيون من كيفيتوت في مسيرة الموت التي انهت هذه الحملة الغربية التي ضمت الآفا عديدة من المحاربين وعددا ضئيلا من الفرسان ,ولكنهم جميعا كانوا على ثقة من ان حربهم في سبيل الصليب لابد وان تنتهي بالنصر(٨٣) .

وبحسب وليم الصوري فقد التجأ ثلاثة الاف الى حصن قديم قرب المعسكر(قلعة كيفيتوت الخربة) وحاولوا الدفاع عن انفسهم بشجاعة وشدد الترك عليهم الحصار وارسلوا مرسولا على جناح السرعة الى بطرس يخبره بهلاك جماعته ,وان القلة الباقية منهم على قيد الحياة وانهم بأمس الحاجة الى السلاح والطعام ,فبادر بطرس بالمضي من ساعته الى الامبراطور ,واستطاع بتوسلاته اليه ان يرسل القوارب هناك وامر العسكر بإنقاذ الاحياء وما كاد الترك يسمعوا بأمر الامبراطور حتى انسحبوا وتركوا القلعة ليلا الا انهم اخذوا معهم اسراهم المسيحيين (٨٤).

وصمدت القلعة ,حتى استطاع احد البيزنطنيين الذي عثر على قارب واقلع به الى القسطنطينية ,ليروي خبر المعركة الى بطرس الناسك والإمبراطور البيزنطي ,فامر الامبراطور بإقلاع عدد من السفن البيزنطية الى كيفيتوت تقل قوات ضخمة ولما قدمت الكتيبة البيزنطية ,رفع الترك الحصار عن القلعة, وانسحبوا الى الداخل, وحملت السفن من تبقى حيا الى القسطنطينية, وجرى انزالهم الى الضواحي بعد نزع الاسلحة عنهم, وهذه كانت خاتمة حملة الشعوب الصليبية ,لقد تكفلت ازهاق ارواح الوف عديدة من الناس (٨٥).

وفي هذه المعركة قتل والتر المفلس وعدد آخر من قادة هذه الحملة العجيبة ,ونجا بطرس من الموت, وبذلك انتهت الحملة الشعبية على تراب الشرق الذي داعب خيال اولئك الذين ساروا على درب بطرس الناسك وأمثاله (٨٦).

وبين وليم سبب فشل الحملة بقوله" وهكذا فان الطيش الجنوني الذي كان عليه هؤلاء القوم الجفاة غير النظاميين ,الذين لا يأخذون بمشورة من هو احكم منهم قد ادى بهم الى

الابادة الشاملة ,ولما لم يكونوا معتادين على النظام المحمود فقد سلكوا سبيلا لم يجنوا ورائه خيرا, واصبحوا ضحية لسيوف العدو"(٨٧).

ولخص المستشرق غروسية نهاية مغامرة بطرس الفعلية ونهاية شخصيته كقائد في الحملة الصليبية الاولى بقوله" ادرك بطرس العاصمة البيزنطية في آب ١٠٩٦م فاستقبله الامبراطور الكسيوس كومنين في بلاطه وقدم له نصيحة في غاية الحكمة ,بان لا يتسرع في عبور البسفور لقتال الاتراك ,قبل وصول الحملة الصليبية الاساسية ,اما اتباعه فقد سمح لهم بالنزول عند اسوار المدينة ,مؤمنا لهم ما يحتاجونه من الزاد ولكن بسبب اعمال السلب التي لجأ لها العناصر المشبوهة المنضوية تحت لواء بطرس الناسك ,عمد الامبراطور الى ابعاد هؤلاء الحجاج الى اسيا حيث خصص لهم مكانا للإقامة في معسكر الضفة الجنوبية لخليج نيقوميديا ,وللأسف فكرة البدء بالحرب المقدسة جعلت هذه الجحافل المتهورة تستغل غياب بطرس الناسك في القسطنطينية, فزحفت في تشرين الاول سنة ١٠٩٦م الى نيقيه حيث كانت الخاتمة المعروفة لتلك الحملة الشعبية ,وعلى الرغم من النهاية المأساوية لتلك المغامرة ,فقد استحق بطرس الناسك, بما اتصف به من ايمان واندفاع, ان يكون رمزا شعبيا في تاريخ الحروب الصليبية, والذي لم ينافسه فيه الالمان(٨٨).

وهنا يتفق المؤرخ اللاتيني صاحب(اعمال الفرنجة)مع كومنينا في مسالة نصيحة الامبراطور لبطرس بالتريث في الانتقال لآسيا الصغرى بقوله "اما بطرس المشار اليه كان اول الذاهبين الى القسطنطينية فبلغها يوم ٣٠ تموز ١٠٩٦م ,وبصحبته الفريق الاعظم من الالمان ,وهناك انضم اليه اللمبارديون وكثيرون سواهم ,فامر الامبراطور بتزويدهم بالميرة بقدر ما تسمح به طاقة البلد ,وقال لهم لا تعبروا البسفور قبل وصول بقية الجيش المسيحي لأنكم لستم بالكثرة التي تمكنكم من محاربة الترك ,فسار المسيحيون اسوء سيرة ,اذ خربوا قصور المدينة واضرموا النيران وخلعوا الرصاص الذي كانت تغطى به الكنائس وباعوه للإغريق, فتلظى الامبراطور غضبا عليهم وامر وهو في سورة حنقه بأبعادهم عن البسفور"(٨٩), وكذلك فان وليم الصوري اشار الى ان الامبراطور الكسيوس زود بطرس وجيشه بالسفن لعبور البسفور واقاموا هناك فترة هادئة بالرغم من تحذيرات الامبراطور على عدم التقدم واستفزاز العدو وانتظار حملة الامراء(٩٠).

وقد اشار فوشيه الشارتري الى هذا المشهد المفزع عند حصار مدينة نيقيه من قبل الحملة النظامية عن مصير رجال حملة بطرس الناسك" آه كم رأس مقطوعة وكم عظمة من عظام الهالكين وجدنا مطروحة في البراري قرب البحر حول نيكوميديا كان الاتراك في ذلك العام ٤٨٩هـ/١٠٩٦م قد ابادوا اهلنا الذين لم يختبروا القوس وكيفية استعماله ,وقد هز هذا المنظر مشاعرنا وسكبنا الدموع العزيزة"(٩١).

ويظهر من خلال الاحداث السابقة عدم التزام جيش الحملة الشعبية بإرادة بطرس الناسك الذي كانت تنقصه هو الآخر الحنكة في القيادة العسكرية فهو في الاساس واعظ ديني قبل ان يكون شيء آخر ,فغيابه عن رجال حملته وتواجده في القسطنطينية لطلب المؤن لجيشة اسهم في عدم التريث لحين قدوم قوات الحملة النظامية من دون ان يضع في حسابه ان الجيش الذي قاده لألاف الاميال عبر اوربا وما صاحب ذلك من اعتداءات لجيشه على اقوام على دينهم من دون سبب اخلاقي سوى الطمع والجوع ممكن ان يقوده ذلك الى مهاجمة المدن التي يتحصن بها السلاجقة وهو ما حدث ولكن هذه المرة كانت النتيجة خاتمة لرحلتهم الطويلة ومقتل غالبية رجال الحملة وسبي الاف الاطفال والنساء على يد السلاجقة, الا انها في الوقت نفسه سجلت واحده من اندر المغامرات التي حفظ احداثها التاريخ على ما فيها من تحفظات ,فبدأت برؤيا لرجل ناسك مسيحي عند قبر السيد المسيح كما دون متحمس لأفكار استرداد الاراضي المقدسة ,ليقود بنفسة عشرات الوف من الرجال والنساء من غرب أوربا الى الجزء الشمالي الغربي من الاناضول لتنهي قيادته بنكبة كبيرة على كل من خرج معه .

وبعد نهاية الحملة الشعبية لا نجد ذكر او دور بارز شغله بطرس الناسك بعد قدوم الحملة النظامية ودخولها اراضي الامبراطورية البيزنطية الا في حوادث حصار مدينة نيقيه حيث حاصر هو وتانكرد السور الشرقي للمدينة, وكذلك حصار انطاكية من قبل المسلمين فقد انتدب لملاقاة كربوغا القائد السلجوقي واقناعه في عدم محاصرة المدينة, وبقاءه في القدس عند خروج الصليبيين لملاقاة الفاطميين في عسقلان عند سيطرتهم على القدس وبشكل عابر ومختصر.

ومن الجدير بالذكر ان الحملة النظامية لم يسمح لهم بدخول القسطنطينية ,فبحسب رواية آنا كومينا "ان الامبراطور الكسيوس سمع أقاويل تتحدث عن قرب وصول عدد كبير

من جيوش الفرنجة لا عد لها ولا حصر ,وقد خشي من وصولهم ,على اساس معرفته بطباعهم وأخلاقهم التي لا يمكن ضبطها فهم جنس حاد الطبع سريع الانفعال شديد الطمع ما ان تلوح الفرصة امامهم فيما يشتاقونه حتى يصبحوا قوما يعجز الكل عن كبح جماحهم"(٩٢),وفي موضع آخر تذكر "ومع رغبتي الشديدة في الاقدام على تسمية قادتهم ,فاني افضل عدم فعل ذلك ,لان الكلمات تخونني بسبب عدم مقدرتي على التفوه بالأسماء البربرية ذلك انها غير موائمة لنا ,ثم انني اجد نفسي ارتجف امام اعدادهم الكبيرة" (٩٣) هو الشيء الذي أكده وليم الصوري "استبد بالإمبراطور وبجميع من حوله الفزع حين رأوا البلد بأكمله عرضة للنهب, كما انه لم يعد بقدرة الامبراطور احتمال انين شعبه وبكائه...كما خاف ان يتحد الامراء الذين على وشك الوصول ويصبحوا يد واحده تعمل لدماره" (٩٤).

من كل هذا نفهم تخوف وتفاجؤ الامبراطور البيزنطي من الاعداد الهائلة من الصليبيين الذين قدموا للقسطنطينية الذي من الممكن ان ينقلبوا عليه في اية لحظة وهو ما حدث عندما استولوا على انطاكية من دون اعادتها لحكم البيزنطيين كما تم الاتفاق على ذلك مسبقا, ردا على اتفاق الامبراطور البيزنطي مع حامية مدينة نيقيه الاسلامية سرا من دون معرفة الصليبيين المحاصرين لها والذين خسروا المئات من القتلى اثناء ذلك الحصار لتفقد الثقة والالتزام المعقود بين الطرفين.

وبالعودة الى ما تبقى من قصة بطرس الناسك مع الحملة الصليبية الاولى , يروي ريموناجيل قصة ارسال بطرس الناسك الى كربوغا اتابك الموصل ومعه اوامر ان يتخلى عن حصار انطاكية "الا ان كربوغا المتغطرس, اجاب بانه سواء كان على حق او خطأ ,فأنه يرغب في ان يصبح سيدا على المدينة وعلى الفرنجة ,وجعل بطرس الناسك يركع امامه"(٩٥),وبغض النظر عما اورده ريموناجيل فيبدو ان اللقاء تم يوم ٢٥ رجب ٤٩١هـ/ ٢٧حزيران ١٠٩٨م .

ويذكر فوشيه ان بطرس الناسك حاول اخافة كربوغا من مغبة الدخول في معركة مع الصليبيين ,وان المدينة بالأساس لم تكن من ممتلكات المسلمين قبيل قدوم اسلافه الى المنطقة ,وطلب ايضا ان تجري مبارزة بين خمسة او عشرة او عشرين او حتى مائة فارس يختارون من بين الطرفين ,كي لا تراق دماء كثيرة اذا ما احتدم القتال بين المحاربين ,وسوف

يستلم الطرف الذي ينتصر رجاله على الاخرين ,المدينة بسلام ويحكمها دون نزاع بعد ذلك"(٩٦).

ولقد وصل الامر ان عرض بطرس تسليم المدينة له وان يصبح من فيها في خدمته بشرط دخوله المسيحية(٩٧).

ويذكر مؤلف مجهول محاولة هرب بطرس الناسك بعد تعرض الصليبيين لحصار كربوغا ومقتل عدد منهم " تسلل وليم النجار وبطرس الناسك سرا فمضى تانكرد في اثارهما وامسكهما ورجع بهما وهما في غاية الخزي, فقطعا على نفسيهما العهد بالطاعة ,واقسما له الايمان المغلظة بانهما سوف يرجعان طواعية الى المعسكر وانهما سيعتذران للسادة"(٩٨).

وفي اعقاب احتلال الصليبيين للقدس وانتخاب جودفري (٤٩٢-٤٩٤هـ/١٠٩٩-١١٠١م) خرج الجيش المصري قرر الفرنجة الخروج لصدهم "اما بطرس الناسك فقد بقى في بيت المقدس لاتخاذ ما تتطلبه الحال من التدابير والاستعدادات اللازمة ,ولدفع الاغريق واللاتين والكهنة الى تمجيد الرب (٩٩).

ومن سياق الاحداث لا نجد اي ذكر لبطرس الناسك في المملكة الصليبية اذ يبدو ان وصول بلدوين الاول (٤٩٤-٥١٢هـ/١١٠١-١١١٨م) الى القدس ومن ثم تنصيبه ملكا عليها ربما يكون سببا في ابعاده عن اي دور ديني في المدينة للحيلولة دون عودة سيطرة رجال الدين على مقدرات المملكة السياسية مما اضطره الى العودة الى أوربا.

وتوفي في ٨ تموز من سنة ١١١٥م في نيفموتييه قرب مدينة هوي البلجيكية, (١٠٠).

ملخص الدراسة

تعد شخصية الراهب بطرس الناسك من الشخصيات المحورية التي كان لها دور بارز في احداث الحملة الصليبية الاولى بل تكاد تكون الابرز , فاليه تنسب المصادر اللاتينية سبب انطلاقها والمحرك الاول لدعوة البابا اوربان الثاني, كما انه نشر دعوة البابا ببلاغته وتأثيره الخطابي على الجموع في كافة الدول التي رحل اليها ,ومن ثم قام بقيادة هذه الجموع من النبلاء والفقراء وقطاع الطرق عبر أوربا الشرقية واراضي الامبراطورية البيزنطية في حملة سميت بحملة الشعوب التي أبيدت بالكامل على يد سلاجقة الروم ولم ينجو منها سوى

بطرس الناسك وشرذمة قليلة من افراد حملته بعد تدخل الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين لإنقاذه لتنتهي واحده من اغرب المغامرات العسكرية في العصور الوسطى .

ورغم الهزيمة التي مني بها بطرس الناسك الا انه اصر على انتظار الحملة الصليبية النظامية, ليصبح فيها بعدما كان القائد العسكري والمرشد الديني في حملة الشعوب الى شخصية غير مؤثرة في احداث الحملة النظامية فلا نجد له دورا ذا بال الا عند حصار انطاكية من قبل امير الموصل اذ انتخب للقائه ,ومرة ثانية عندما تركة قادة الجيش الصليبي في القدس يوم خرجوهم لصد الهجوم الفاطمي على مملكتهم الناشئة, وهذا التهميش الناتج عن هزيمته الموجعة ,ووفاة البابا اوربان الثاني اضطره الى مغادرة الاراضي المقدسة والتي منها قرر بدأ مغامرته قبل سبع سنوات عندما كانت بيد المسلمين والعودة الى أوربا.

قائمة الهوامش:

(١)الدور الروحي والعسكري للكتيبة البابوية في الحروب الصليبية خلال القرنين ٥.٦هـ/١١.١٢) رسالة ماجستير ,كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ,قسم التاريخ الجزائر,٢٠٢٣م ,ص٢٤

*مؤرخ الماني اعتمد طريقة النقد للروايات التاريخية ,عمل استاذا في جامعة بون ,توفي سنة ١٨٩٥م Heinrich Von Syble,Wikipedia.org

*اي رؤيته للسيد المسيح عند كنيسة القيامة ومقابلته للبابا وكونه هو من ايقظ غفلة الاخير لاسترجاع القبر المقدس وانقاذ المسيحيين من اذى المسلمين في الاراضي المقدسة

*هو احد ابرز المؤرخين اللاتين الالمان الذين دونوا للحملة الصليبية الاولى ورغم عدم مشاركته في الحملة الا انه كتب عن طريق التقاءه بشهود عيان عادوا من الى أوربا دونوا عنها وكانت له روايات خاصة به اعتمدت من قبل بقية المؤرخين اللاحقين ,وهو واحد من أوائل المؤرخين الالمان الذين ارخو للحرب الصليبية ,والذي لم يقم بزيارة الشرق, ولا نعرف عنه الكثير سوى انه كان رجل لاهوت كاثوليكي من المحتمل انه كان في وقت ما, امينا لخزانة مدينة آخن(Aachen (وهي مدينة اكس لاشبل الالمانية عاصمة شارلمان ,مؤسس ما عرف بالإمبراطورية الرومانية المقدسة التي شغلت هي والبابوية اهم احداث تاريخ الغرب الاوربي في العصور الوسطى, مقدمة المترجم محمد حمدان احمد على كتاب البرت فون آخن, تاريخ الحملة الصليبية الاولى ومملكة بيت المقدس,ط١(دمشق, دار الاعصار العلمي,٢٠١٦)ص٣٠

(٢)قاسم عبده قاسم, الحملة الصليبية الاولى نصوص ووثائق(الهرم, عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية,٢٠٠١م),ص٩٩ ,هايل مضفي البري ومحمود محمد رويضي ,البرت فون آخن واهمية

اعماله في دراسة فترة الصراع الاسلامي الصليبي ,مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات الانسانية ,٢٠٢٣م ص١١٠,

(٣)قاسم ,الحملة الصليبية الاولى نصوص ووثائق ص٩٨

(٤)رينيه غروسية ,ملحمة الحروب الصليبية ,ترجمة: سامية زغيب, مراجعة وتقديم: ابراهيم بيضون ط١(بيروت, دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع,٢٠٠٧ م)ص٢٧

(٥)آنا كومنينا ,الكسياد, ترجمة :حسن حبشي ط١(القاهرة, المجلس الاعلى للثقافة,٢٠٠٤م)ص٣٩٧

(٦)كومنينا,الكسياد,ص١٠٦

*فرنسي الاصل هو اول من نهض الى الحج بدأ رحلته في اليوم الثامن من شهر مارس عام ١٠٩٦م واستصحب معه طائفة كبيرة من الجند المشاة ,اما الفرسان الذين كانوا معه فلم يزيدوا عن شرذمة قليلة ,فلما عبر بهم مملكة النيوتون دخلوا بلاد مملكة المجر التي كان الوصول اليها امر عسيرا لكثرة المستنقعات التي تغطي معظم نواحيها واحداق الانهار الكبيرة بها وبالتالي لم يستطع المسافر الى المملكة او الخروج منها الا من اماكن معينة شديدة الضيق, رافق بطرس الناسك في الانتقال الى اسيا الصغرى وهناك قتل على يد السلاجقة سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م, ينظر آخن, تاريخ الحملة الاولى,ص٤٠ , وليم ا,ج١, ص١١٢ سميث, جوناثان رايلي ,تاريخ الحروب الصليبية, ترجمة قاسم عبده قاسم, ط١ (القاهرة ,المركز القومي,٢٠٠٩م) ج١,ص٧٤

(٧)ترجمة :محمد حمدان احمد ,ط١(دمشق, دار الاعصار العلمي,٢٠١٦)ص٣٦

(٨)آخن,تاريخ الحملة الصليبية الاولى,ص٥٢

*هو جيبرت رئيس اساقفة رافينا, رئيس دير نوجنت ويعد كتابه (اعمال الفرنجة التي ادوها بفضل الرب)من المصادر الافرنجية المعاصرة للحملة الصليبية الاولى, والمؤلف لم يكن شاهد عيان لأحداث تلك الحملة, ولم يقدم للشرق نهائيا, وانما كتب كتابه بين عامي ١١٠٨-١١١٢م معتمدا شهود عيان عادوا من الشرق الى الغرب الاوربي ,انحاز الى جانب الامبراطور هنري الرابع في الخلاف الشهير مع البابا غريغوري السابع حول التنصيب العلماني لرجال الدين, توفي عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م,ينظر الشارتري ,فوشيه ,تاريخ الحملة الى القدس, ترجمة: زياد جميل العسلي,ط١(بيروت ,دار الشروق ,١٩٩٠م) ص٣٨-٣٩,٨٨,هامش _١٥_,عاشور,تاريخ اوربا في العصور الوسطى(بيروت, دار النهضة العربية,١٩٧٦م) ص٣١٦,حسين رجا الشقيرات, مؤرخو الحروب الصليبية ومصادرهم (١٠٩٦.١٢٩١م)مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية,العدد١,مج٣,٢٠١٩,ص١٢٢

(٩)قاسم, الحملة الصليبية الاولى,ص٩٩,قاسم عبده قاسم ,الخلفية الايدلوجية للحروب الصليبية ,ط١(عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية,١٩٩٩م)ص٩١

(١٠) ستيفن رنسيمان ,تاريخ الحروب الصليبية ,نقله الى العربية: السيد الباز العريني ط١(بيروت, دار الثقافة,١٩٦٧م) ج١,ص١٧٠

(١١)قاسم, الخلفية الايدلوجية للحروب الصليبية,ص١٢٢-١٢٣

(١٢)آخن, تاريخ الحملة الصليبية الاولى,ص٣٦

(١٣)آخن ,تاريخ الحملة الصليبية الاولى,ص٣٧

(١٤)للتفصيل ينظر حامد زيان غانم زيان, الصراع السياسي والعسكري بين القوى الاسلامية زمن الحروب الصليبية(القاهرة ,دار الثقافة للنشر والتوزيع,١٩٨٣م)

(١٥)عمر يحيى محمد, موقف الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين من الحملة الصليبية الاولى ,رسالة ماجستير غير منشوره, جامعة الملك عبد العزيز, كلية الآداب قسم التاريخ١٤١٢, ص٢٤

(١٦)باركر ,ارنست ,الحروب الصليبية ,ترجمة: السيد الباز العريني,ط٢(القاهرة, دار النهضة,)ص١٩

(١٧)ينظر جوزيف نسيم يوسف ,العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى,(الاسكندرية, مؤسسة شباب الجامعة,١٩٨٣م)ص٥٣-٥٤

(١٨)تاريخ الحملة الصليبية الاولى,ص٣٨

* كان وليم سليل اسرة من المستعمرين ولد في الارض المقدسة لوالدين فرنسيين وتلقى تعليمه في بلاد الشام وفي الغرب الاوربي ,وقد أمضى ما يقرب من عشرين سنة طالبا في فرنسا وايطاليا (١١٤٥_١١٦٥)وعند عودته اصبح قسيسا بمدينة صور ,ثم ترق حتى صار كبير قضاة مملكة بيت المقدس وحضى بأعجاب امريلك ملك بيت المقدس وعهد اليه تربية ابنه ولكن وفاة امريلك جعلت وليم يفقد حظوته ,مات سنة ١١٨٥ تقريبا()قاسم ,الحملة الصليبية الاولى,ص١٠٠

(١٩) وليم الصوري ,تاريخ الحروب الصليبية, ترجمة :حسن حبشي(القاهرة, الهيئة المصرية العامة للكتاب,١٩٩١م)ج١,ص٩٠-٩١

* او شمعون بطريرك بيت المقدس الأرثوذكسي ورئيس اساقفتها ,مات في قبرص قبل استيلاء الصليبيين على القدس, عاشور ,سعيد عبد الفتاح ,تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى,ط٢(بيروت ,دار النهضة العربية ,٢٠٠٣م)ص٢٠٠

(٢٠)قاسم, الحملة الصليبية الاولى,ص١٠٠-١٠١

(٢١)وليم الصوري ,الحروب الصليبية , ج١,ص٩١-٩٢

(٢٢)وليم الصوري,ج١,ص٩٢

(٢٣)وليم الصوري,ج١,ص٩٣

*اغسطين هو (٣٥٤.٤٣٠م) مواطن روماني عاش في الجزائر من اتباع الديانة المسيحية صاحب فكرة مدينة الله ومدينة الشيطان ولقد حقب تاريخ البشرية الى سبعة احقاب مرتبط معظمها بعهود

الانبياء,هاشم يحيى الملاح, المفصل في فلسفة التاريخ,ط٣(بيروت ,دار الكتب العلمية,٢٠١٢م)ص٩٥- ٩٦

(٢٤)وليم الاصوري,ج١,ص٩٣

(٢٥)وليم الصوري,ج١,ص٩٤

(٢٦)ينظر رنسيمان,تاريخ الحروب الصليبية , ج١ ,ص١٠١.١٠٢ ,طقوش, تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى,ط٢(,دار النفائس, بيروت طقوش,٢٠٠٨) , ص٦٣, ٢٠١

(٢٧)محمد مؤنس عوض ,الحروب الصليبية في مؤلفات المؤرخين الغربيين المحدثين ,ط١(القاهرة ,مكتبة الآداب,٢٠١٦م)٢٢٢-٢٢٣

(٢٨)قاسم, الخلفية ,ص٩٥

(٢٩),آخن, تاريخ الحملة الصليبية الاولى,ص٣٩

(٣٠)وليم,ج١,ص٩٤

(٣١) للتفصيل ينظر وليم ج١,ص٩٥-٩٦

(٣٢)وليم,ج١,ص٩٧

(٣٣)روجر اوف ويندوفر(ت١٢٣٧)(١٢٣٥.٤٤٧) تحقيق وترجمة: سهيل زكار ,الموسوعة الشاملة (دمشق, دار الفكر للطباعة,٢٠٠٠م)ج٣٩,ص١٥. ١٦

(٣٤)رنسيمان, تاريخ الحروب الصليبية,ج١,ص١٧٢

(٣٥)غنيم ,تاريخ الحروب الصليبية,ص٢٢

(٣٦)كومنين,الكساد,ص٣٨٨,

(٣٧)الكسياد,ص٣٨٨

(٣٨)آناكومنينا,الكسياد,ص٣٩٠

(٣٩)آناكومنينا,الكسياد,ص٣٩٠

(٤٠)احمد ابراهيم الشريف ,بطرس الناسك ,اليوم السابع,m-youm

(٤١)المطوي ,محمد العروسي, الحروب الصليبية في المشرق والمغرب,ط٢ (تونس ,دار الغرب الاسلامي,١٩٨٢ م) ص٤٦ ,ملر اندروا ,مختصر تاريخ الكنيسة,ط٤(القاهرة, شركة الطباعة المصرية,٢٠٠٣م)ص٢٥٨,يوسف,جوزيف نسيم, العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الاولى,ط٣(القاهرة, دار المعارف,١٩٦٧م)ص١٥٤_١٥٥

(٤٢)رنسيمان,ج١,ص١٩٨, قاسم, الخلفية الايدلوجية,ص٧٧

(٤٣)بردج انتوني ,تاريخ الحروب الصليبية, ترجمة :احمد غسان سبانو ونبيل الجيرودي (دمشق ,دار ابن قتيبه,٢٠١٤)ص٤٧,رنسيمان,ج١,ص١٩٩

(٤٤)رنسيمان ,تاريخ الحروب الصليبية,ص١٧٠

(٤٥)قاسم ,الخلفية الايدلوجيه,ص١٢٥

(٤٦)رنسيمان, تاريخ الحروب الصليبية,ج١, ص١٨٠,

(٤٧)غروسية, ملحمة الحروب الصليبية,ص٢٧-٢٨

(٤٨)ويندفور , ورود التاريخ ,الموسوعة الشاملة,ج٣٩,ص٢٢

(٤٩)قاسم ,الحملة الصليبية الاولى,ص٩٩

(٥٠)وليم,ج١,ص٩٧

(٥١)وليم,ج١,ص٩٨.٩٩

(٥٢)وليم,ج١,ص١١٥-١١٦

(٥٣)رنسيمان,ج١,ص١٨٢-١٨٣

(٥٤)وليم,ج١,ص١١٦

(٥٥)وليم,ج١,ص١١٧-١٢٢,

(٥٦)آخن ,تاريخ الحملة الصليبية الاولى,ص٤٥

(٥٧)رنسيمان,ج١,ص١٨٧

(٥٨)كومنين,ص٣٨٧

(٥٩)الكساد,ص٣٩٠

(٦٠)آخن,ص٥٠

(٦١)آخن,ص٥١

(٦٢)كومنين,ص٣٨٩

(٦٣)وليم,ج١,ص١٢٤

(٦٤)رنسيمان,ج١,ص١٨٨

(٦٥)وليم,ج١,ص١٢٥

(٦٦)اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ,ترجمة: حسن حبشي(الرياض, دار الفكر العربي,١٩٥٨م) ص١٩

(٦٧)فؤاد عبد الرحيم الدويكات, موقف السلطان قلج ارسلان من الحملة الصليبية الاولى ,دراسة في علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالحملة الاولى, مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ,جامعة طيبة المدينة المنورة,١٤٤٢هـ,ص٣١٣

(٦٨)مؤلف مجهول,ص٢٠

(٦٩)للتفصيل ينظر مؤلف مجهول,ص٢١

*نيقيه (باليونانية: Νικαια) هي مدينة إغريقية قديمة تقع على ساحل الأناضول(آسيا الصغرى) الشمالي الغربي عند بحر مرمره تسمى إزنيق حديثا، تقع في محافظة بورصة التركية, اسست في الالفية الاولى قبل الميلاد اشتهرت بأهميتها في تاريخ المسيحية حين قام الإمبراطور قسطنطين الأول(٣٠٦-٣٣٧) م بعقد مجمع نيقيه سنة٣٢٥م,الشهير الذي تنسب إليه معظم العقائد المسيحية, وعرفت نيقيه في مدة العصور الوسطى بانها احدى المدن البيزنطية , واجهت غزوات المسلمين لقرون عدة في مراحل قوتهم ,ومن قبلهم الفرس عدة قرون فأهميتها للبيزنطيين من اهمية العاصمة بيزنطة (القسطنطينية) فأي احتلال لها يعني وقوع المدينة تحت حصار بحري وبري مباشر لأسوار القسطنطينية ينفذه من استولى على نيقيه فالمسافة المائية الفاصلة بين الجانب الآسيوي والاوربي لا تتعدى ١٥٠٠ متر فقط بينما لا تزيد مسافة الأرض عن أسوار القسطنطينية عن مائة ميل , امين ,ئاوات محمد امين, دراسة تحليلية حول مجمع نيقيه المسكونية ,مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية ,٢٠١٠م,مج٥,عدد١, ٨-١٩, ويكبيديا ,نيقيه ar.wikipedia , Nicea

(٧٠)آخن,ص٥٤

(٧١)آخن,ص٥٥

(٧٢)رنسيمان,ج١,ص١٨٩-١٩١

(٧٣)آخن,ص٥٦

(٧٤) أخن, تاريخ الحملة الصليبية الاولى,ص٥٦-٦٠,رنسيمان,ج١,ص١٩٢

(٧٥)اعمال الفرنجة,ص٢٢

(٧٦)اعمال الفرنجة,ص٢٢

(٧٧)ريموناجيل, تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس,ص٧٨-٧٩

(٧٨)وليم الصوري, الحروب الصليبية,ج١,ص٢٢٠

(٧٩)العظيمي ,محمد بن علي الحلبي(ت٥٥٦هـ /١١٦١م)تاريخ حلب ,تحقيق :ابراهيم زعرور(دمشق, ١٩٨٤م)ص٣٥٨

(٨٠)كومنين,ص٣٩١-٣٩٢

(٨١)الكسياد,ص٣٩٢

(٨٢)وليم,ج١,ص١٢٦-١٢٩

(٨٣) الخلفية الايدلوجية,ص١٣٧

(٨٤)وليم,ج١,ص١٣٠,قاسم ,الحملة الصليبية الاولى نصوص ووثائق,ص١٣١

(٨٥)رنسيمان,ج١,ص١٩٣-١٩٤

(٨٦)قاسم,الخلفيةالآيدلوجية,ص١٣٨

(٨٧)وليم,ج١,ص١٣٠

(٨٨)غروسيه, ملحمة الحروب الصليبية,ص٢٩

(٨٩)مؤلف مجهول, أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ,ص١٩

(٩٠)الحروب الصليبية, ج١,ص١٢٥

(٩١)فوشيه الشارتري, تاريخ الحملة الى القدس , ص٤٥-٤٦

(٩٢) آنا كومنين, الكسياد, ,ص٤١٨

(٩٣)آنا كومنين,الكسياد,ص٤٠٢

(٩٤)وليم الصوري, الحروب الصليبية,ج١,ص١٦٥

(٩٥)تاريخ الفرنجة,ص١٤٣

(٩٦)الشارتري ,تاريخ الحملة الى القدس,ص٦١

(٩٧) Cpnor Kostick, The Social Structure of the First Crusade(Leiden,Brill,2008)p.127

(89)مؤلف مجهول ,اعمال الفرنجة,ص٥٥

(99)مؤلف مجهول ,ص١٢٢

(100)بطرس الناسك ,ويكبيديا, الموسوعة الحرة, ar.Wikipedia.org